آدم بريسكو

استدراج الجاني

رواية

جنكو تمو

آدم بريسكو

استدراج الجاني

جنكو صالح تمو

آدم بريسكو

استدراج الجاني

رواية

جنكو صالح تمو

إهداء

إلى أبي الذي شجعني دائماً على الكتابة.

-ابحث عن حلول مشاكلك في داخلك أولاً؛
فالالتفات إلى الخارج مضيعة لوقتك الثمين
الذي لا يعوّض.

جنكو تمو

-ذروة السعادة أن تُسعد الآخرين.
جنكو تمو

1

اندفعتُ من غرفتي والتوتر ينهش خطاي، وعيناي تترقبان ناصية الشارع بحثاً عن أقرب كشك للصحف. وحين لمحته هرعتُ إليه بلهفة الغريق لأبتاع ما جئت لأجله؛ العدد (4000) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الأحد 4 يناير 2026م.

عدتُ أدراجي مسرعاً، يطاردني ظمأٌ جارف للقراءة ورغبة ملحّة في التقصي عن أخبار الجرائم، عالميةً كانت أم محليةً. وبمجرد وصولي إلى غرفتي المستأجرة، لم أضيّع ثانية واحدة، وارتميتُ في حضن أريكتي المهترئة، مستسلماً إلى ذلك النوع من الترف المتواضع الذي لا يُقدَّر بثمن.

شرعتُ أقلِّب الصفحات، فبدا لي شحوب الورق الأصفر متواطئاً مع لون جدران غرفتي الكئيبة. وهناك، في عمود الجرائم الدولية، وقعت عيناي على القصة الأولى. وكانت الأغرب على الإطلاق.

"الشاهد اليتيم":

تنتشر جرائم القتل في كل مكان بالعالم، وفي كل مرة تبدأ مطاردة صامتة بين رجال الأمن والجاني المختبئ خلف ظلال جريمته. تلك الجرائم، على مختلف أنواعها، تترك أثراً رديئاً وسيئاً في نفوس الآخرين. وتظلُّ جرائم أخرى لُغزاً مُحيراً ليس له حلٌّ في الوقت الحالي، فتؤجَّل القضية لسنوات أخرى عديدة. وفي الوقت نفسه فقد نجح عدد من رجال الأمن في الوصول إلى القاتل في أقصر وقت ممكن.

ومن أغرب القصص التي وقعت في كندا، جريمة قتل أحد الأشخاص، لم تكن جريمة القتل في حد ذاتها هي ما يثير الدهشة، ولكن العجيب في القصة، أن يقوم طائر الببغاء بكشف لغز تلك الجريمة، بعد مرور أكثر من سنتين على وقوعها؛ إذ كان طائر الببغاء يعيش معه في المنزل نفسه.

في أحد الأيام عثرت الشرطة المحلية على شخص يُدعى جيمس، كان مقتولاً داخل شقته، وقد تلقى ست رصاصات

اخترقت أجزاء جسده، ولم يكن يوجد آنذاك داخل الشقة سوى القاتل، والمجني عليه، وطائر الببغاء الذي كان يُطلقُ عليه اسم كاسو، وهو يشاهد اللحظات الأخيرة والحرجة في حياة الضحية وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

كان الببغاء الذكي يُردد الكلمات التي خرجت من فم المجني عليه قبل وفاته بلحظات، وكأنه يعيد صدى اللحظة الأخيرة من حياته؛ فساعد بذلك رجال الأمن في الوصول بِسرعة إلى القاتل وكشف حقيقة مقتل جيمس.

لقد استطاع رجال الأمن التأكد التام من أن زوجة المجني عليه، التي تُدعى جيسيكا، قد خططت لجريمة قتل زوجها ونفذتها. فأطلقت عليه عن قُرب ست رصاصات متتالية وأردته قتيلاً في الحال، كما أثبتت التحقيقات والتحريات أن الزوجة القاتلة حاولت الانتحار وإنهاء حياتها بعد تنفيذ جريمة قتل زوجها باستخدام السلاح نفسه، وهو المسدس الذي قتلت به زوجها، لكن محاولة إنهاء حياتها فشلت فشلاً ذريعاً.

أوهمت محاولةُ جيسيكا للانتحار رجالَ الشرطةِ بأنها ضحيةٌ أخرى لهجومٍ غاشم، فافترضوا أن معتدياً غريباً أردى زوجها قتيلاً وشرع في الإجهاز عليها، مما أبعدها تماماً عن دائرة الشبهات. وكانت الزوجة تصر على براءتها من دم زوجها القتيل، ولم تُفكر يوماً أن رجال الشرطة سيصلون إلى حقيقة إدانتها بسبب شهادة الببغاء.

كانت المفاجأة صادمة وقوية بالنسبة إلى القاتلة، فقد وجدت نفسها فجأة في قبضة رجال الأمن، الذين قاموا بتوجيه الدليل الدامغ إليها على خلفية قتل زوجها جيمس مع سبق الإصرار والترصد. لم يكن يخطر في بالها أن الطائر الذي كان يعيش معهما وأصبح واحداً من أفراد العائلة، قد حفظ بعضاً من كلمات زوجها الأخيرة وكان يستمرُّ في ترديدها مِراراً وتكراراً.

كان الطائر يُردد في نهاية كلامه كلمة "لا تُطلقي"، ومن المفهوم أنها العبارة التي كان يأمل بها الزوج القتيل العفو من الزوجة القاتلة، ما جعله يتوسل إلى زوجته بِعدم إطلاق النار عليه، لكنها لم تُعطِ أهمية بالغة لتلك التوسلات البائسة، وصممت على تنفيذ

جريمتها اللاأخلاقية بِلا رادع يمنعها من ذلك، ولكن جريمة القتل كانت غير مكتملة؛ لأنها حدثت في وجود طائرٍ ذكي للغاية وهو يُردد كلمات الزوج.

وقد اتخذ رجال الأمن قرار القبض على الزوجة القاتلة وتوجيه سلسلة من الاتهامات إليها بِناءً على كلام الشاهد اليتيم الذي كان حاضِراً وقت وقوع الجريمة، وهو الببغاء، فأخذت المحكمة بِشهادته على محمل الجد، وتم التحقق من أن زوجته جيسيكا هي القاتلة.

بعد أن قُتِلَ جيمس، قامت زوجة جيمس السابقة ماري بأخذ طائر الببغاء ليعيش معها في المنزل، ولكي ترعاه وتعتني به، فلاحظت ما يقوله الببغاء من كلمات تدل على الوصول إلى القاتل في قضية مقتل الزوج، لم تتردد السيدة دقيقةً واحدةً في الذهاب إلى رجال الأمن المسؤولين عن ملف قضية مقتل جيمس، وفي المحكمة قام طائر الببغاء بِترديد الكلمات التي دارت بين الزوج والزوجة قبل وقوع الجريمة بِدقائق قليلة، وذلك ما أثبت تورط جيسيكا في عملية القتل،

فأدى إلى القبض عليها، وتنفيذ العقوبة المناسبة التي تستحقها القاتلة.

وبِذلك كانت شهادة الشاهد الغريب من أغرب القضايا التي حدثت في التاريخ الحديث، وهذا دليل واضح على أن جميع جرائم القتل في العالم غير كاملة، فلابد من وجود أثر يصل من خلاله رجال الأمن إلى معرفة الجاني، مهما طال الوقت على حدوث جريمة القتل. بالفعل كانت قصة غريبة.

وبدأتُ بِقراءة القصة الثانية.

"شاب يقتل فتاة ويخفي جثتها":

أفادت قوى الأمن الداخلي في اليمن بتوقيف شخص يحمل جنسية غير يمنية، إذ تورط في جريمة قتل مروعة، ذهبت ضحيتها فتاة شابة.

وقال الناطِقُ باسم المُديرية العامة: إن الشخص المشتبه به الذي تم توقيفه بتهمة قتل الفتاة، كان يعمل عامل نظافة، ورمى جثة الفتاة في مكبّ النفايات.

كانت تفاصيل الجريمة البشعة على الشكل الآتي: نشرت الوكالة الوطنية تفاصيل الجريمة كاملة، إذ عثرت الشرطة على جثة فتاة مجهولة الهوية ذات بشرة سمراء كانت داخل كيس أسود كبير في مكب النفايات العامة، وقد قيدت كلتا قدميها، وبدت آثار ضربات عديدة على الوجه، وكان يلف حول عنقها رباط حذاء.

ووجهت الأوامر للقطعات المختصة في قوى الأمن الداخلي من أجل القيام بإجراءاتها الميدانية والاستعلامية بغية الكشف عن مُلابسات جريمة القتل، وتحديد هوية الجاني وتوقيفه.

ونتيجةً للتحريات المكثفة التي قامت بِها قوى الأمن تم تحديد هوية المغدورة والتعرف عليها.

حيث اشتبهت الشرطة بِشخص من غير الجنسية اليمنية، كون المجني عليها أيضاً من جنسية غير يمنية كانت تربطها به علاقة عاطفية، وهو يقيم في المنطقة نفسها، وكان يعمل عامل نظافة.

وبإلقاء القبض عليه، وتفتيشه، تم ضبط هاتفه الخلوي ومحفظته التي وجدت بِداخلها صورتان لوثيقتي طلب لجوء من الأمم المتحدة، باسمين مختلفين تماماً.

وبالتحقيق معه، اعترف القاتل بِما نُسب إليه من تخطيط جريمة القتل وتنفيذها، وذلك بسبب خلافات مع المجني عليها التي كانت تربطه بها علاقة عاطفية قوية.

ثُم أضاف المتهم في إفادته أنه على إثر حصول شجار وعراك بينهما أقدم على ضربها بعصا غليظةٍ على رأسها فسقطت على الأرض فوراً، وارتطم وجهها بِطاولة زجاجية قريبة من مكان وقوعها، فتعرضت لخدوشٍ كثيرة.

وبعد ذلك أقدم القاتل على خنقها باستعمال رباط حذاء، وقام بِتكبيل قدميها معاً بِشريط متين، ثُم تأكد من أنها فارقت الحياة فوضَعَها في كيس بلاستيكي كبير ونقلها من بيته، بوساطة مستوعب للنفايات يستخدمه لجِمع نفايات الشارع، حيثُ تخلص منها.

بعدها عاد إلى بيته وعمل على تنظيف نفسه من دماء المغدورة، ورمى السجادة والعصا الغليظة والطاولة الزجاجية كما قام أيضاً بتنظيف المكان من آثار الدماء.

وتبين للقوى الأمنية التي كانت تتولى عملية التحقيقات منذ البداية أن المتهم دخل البلاد بِصورة غير شرعية عن طريق دولة أخرى، وكان يستخدم بِطاقات شخصية مغايرة بأسماء أشخاص آخرين بِغرض التنقل والعمل بين المناطق الأخرى.

أتممتُ قراءة صفحة الجرائم العالمية، وانتقلتُ إلى صفحة الجرائم المحلية التي لم تحوِ سوى خبرٍ واحدٍ مقتضبٍ للغاية:

" وقعت جريمة قتل مروعة قبل عدة أيام في منزلٍ يقع قرب المستنقع المائي في مدينة القامشلي الجديدة".

وذكرت الصحيفة أنها ستنشر تفاصيل الحادثة كاملةً على شكل حلقات متتالية في جريدة "القامشلي جليد". أما في العدد القادم، فسيتم تسليط الضوء على شخصية آي، التي أسهمت بشكل

فعال إلى جانب التحري المستقل آدم بريسكو والمحقق المساعد العجوز عليش بلعون في فك لغز هذه الجريمة.

***

2

سأبقى على اطلاع دائم بآخر مستجدات جريمة القتل التي هزَّت المنزل المحاذي للمستنقع في مدينة القامشلي الجديدة. اليوم، ومن الكشك ذاته، اقتنيت العدد (4001) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الاثنين 5 يناير، وكعادتي، استهللتُ قراءتي بصفحة الجرائم العالمية، حيث استوقفتني الجريمة الأولى فيها.

"القاتل العجوز ":

لقد قُتِلَت راقصة برازيلية، بعد أن أطلق الزوج الرصاص عليها من داخل مطعم فخم، من دون أن تصل التحقيقات المكثفة التي قامت بِها الجهات الأمنية إلى الدافع الذي أدى إلى ارتكاب هذه الواقعة المأساوية.

وقد أفادت السلطات الأمنية البرازيلية بِمقتل الراقصة المشهورة ماريا، في مطعم " **الجاكوار الأسود**" على يد الزوج الذي يبلغ من العمر سبعين عاماً على الأقل.

ووفق شهود عيان كانوا موجودين في مسرح الجريمة وقت حدوثها، فقد أطلق الزوج الرصاص على زوجته ماريا ثلاث مرات مُتتالية، ثُم حاول الفرار من موقع الحادث، بعد أن دبَّ الذعر في قلوب الحاضرين الذين شاهدوا الواقعة مُباشرةً.

وحسبما ذكرت صحيفة برازيلية معروفة، فإن الزوج قد دخل في مُلاسنة حادة مع زوجته قبل أن يطلق عليها الرصاص، وفرَّ مولّياً الأدبار برفقة أحد حراسه الشخصيين، بعد محاولته رشوة رجال الشرطة.

ولا تزال دوافع ارتكاب الزوج العجوز للجريمة غامضة، إلا أن السلطات الأمنية أكدت أنه تم اعتقال القاتل المتهم بِرفقة امرأة ثانية كانت ترافقه وقت حدوث إطلاق الرصاص على زوجته الشابة ماريا.

وأشارت السلطات الأمنية إلى تورط الزوج في قضايا ابتزاز عديدة سابقة، عثر عليها في ملف الزوج القاتل العجوز.

بعدها انتقلتُ مباشرةً إلى قراءة الجريمة العالمية الثانية، التي كانت أيضاً من البرازيل، ولكنها أكثر بشاعةً من الأولى.

"أخطر قاتل متسلسل":

أكدت الشرطة البرازيلية أنها قامت بالتحقيق مع مشتبه به في جريمة قتل مروعة، وتبيّن أنها اكتشفت أكبر قاتل متسلسل محتمل، بعد أن عثرت السلطات الأمنية على بقايا عظام ومنشار كهربائي وبقع عديدة من الدماء وبِطاقات شخصية لِنساء مفقودات في غرفة استأجرها القاتل.

ولم تعلن السلطات الأمنية التي كانت تتولى القضية اسم المشتبه به، لكنها أكدت أنه قيد الاحتجاز والتحقيق حتى يُقدَّم إلى هيئة المحكمة بِتهمة قتل شخصٍ والشروع في قتل امرأتين أخريين.

انتظر المشتبه به امرأةً حتى غادرت منزلها، فاستغل القاتل فرصة مُغادرة تلك المرأة، وتسلل خلسةً إلى منزلها، وقام بالاعتداء جنسياً على ابنتها الوحيدة، ثمّ قام بِخنقها.

وعند عودة الأم إلى منزلها رأت القاتل وهو يخرج من شقتها مُسرعاً، ولكنه طعنها في رقبتها وفر هارباً، ونجت الأم بأعجوبة، لكن ابنتها لم تنجُ.

لقد كان المشتبه به يعيش قريباً من تلك المنطقة، فقد تم التعرف عليه في الحال، وألقت الشرطة القبضَ عليه، ولكن وفقاً لقوانين الدولة البرازيلية وتشريعاتها، فقد أعلنت الشرطة اسمه الأول فقط، وكان اسمه كارلوس.

فلما قام المحققون بمسح الشقة القريبة من مسرح الجريمة وتفتيشها- وهي الشقة التي كان قد استأجرها القاتل- عثروا على أدلة وإثباتات دامغة تُشير بِجلاء ووضوح إلى أنهم يبحثون عن أخطر قاتل متسلسل يقتل النساء في التاريخ الحديث، وأعلن المحققون أيضاً في الوقت نفسه، أثناء تفتيش شقة القاتل، أنهم عثروا على مواد بيولوجية، يُعتقد أنها لحم بشريّ، ووجدوا بقعاً كثيرة من الدماء وعظاماً، وكذلك منشاراً كهربائيّاً وهواتفَ محمولة وبطاقاتٍ شخصيّةً تعود كُلّها لِنساء.

وأكد أحد المحققين الرئيسيين، الذين كانوا يتولون زمام التحقيقات، أن الأمر الأكثر إثارةً وبشاعةً هو عثور رجال التحقيق على مجموعة من دفاتر الملاحظات التي تتحدث بِصراحة عن تلك الأفعال الشاذة التي قام بها كارلوس في قتل ضحاياه من النساء.

ولكن المحققين لم يُصرحوا بأي شكل عن عدد العظام أو عدد البِطاقات الشخصية التي عثروا عليها في مسرح الجريمة، ولكن أغلب وسائل الإعلام ذكرت أرقاماً مُخيفة، كُلّهنَّ من النساء.

في النهاية لا أحد يُصدّق ما قام به هذا المهووس المختل من حصد كل تلك الأرواح البريئة بلا أدنى سبب سوى أنهنّ نساء.

انتقلتُ بعدها مباشرةً إلى الصفحة المتعلقة بجرائم القتل المحلية، وكان الخبر يتحدث عن فتاة جديدة انضمت في الآونة الأخيرة إلى فريق التحقيقات المستقل الذي يقوده التحري آدم بريسكو مع صديقه العجوز عليش بلعون لحل لغز جريمة القتل التي وقعت في منزل قريب من المستنقع.

"المحققة الجديدة":

-الاسم: آي.

-النسبة: الكاف.

-العمر: 35 عاماً.

-المهنة: التصوير.

آي فتاة نحيفة مُثيرة ذاتُ جاذبية وأناقة، كُلما تقدم بِها العمر، ازدادت جمالاً وأنوثةً، لها جبهة عريضة، شعرها كستنائي سميك كذيل الحصان الأصيل، حواجبها دقيقة كالصراط المستقيم، بشرتها بيضاء كالحليب، ووجنتاها مُلتهبتان كنار الجحيم، وقوامها طويل رياضي نشط، يمنحها مظهراً يوحي بالشباب والنضارة الدائمة. إجمالاً فهي تختلف عن الفتاة العادية. كانت النظرة الجمالية لمسألة النحافة مختلفة في ثقافات الأمم القديمة، إذ كانت الفتاة ذات الجسم النحيف المفرط -قديماً- تَوصَف بِأنها معتلة الصحة وغير مرغوب فيها، أما نظرة العصر الحديث، عصر الأزياء والموضة، فقد اختلف

الأمر كُلياً فصارتِ الرشاقة مطلباً جمالياً يتهافتُ عليه أشهر مُصممي دور الأزياء حول العالم.

وعلى الرغم من تلك المواصفات المطلوبة عالمياً إلا أن هناك مخاطرَ كثيرةً تعاني منها الفتاة النحيفة وهو ما يؤدي إلى قلة المناعة وعدم مقاومة الأمراض بالإضافة إلى هشاشة العظام، فالكثيرات من الفتيات البدينات أصبحن مهووسات وهن يستحين من أجسادهن، لأنهنَّ لسنَ نحيفاتٍ.

عملت المصورة آي سابقاً ضمن فريق التحقيقات الجنائية بِقيادة المحقق الجنائي المساعد أبي حشيش، ولكنها تركت عملها إثر خلاف حاد نشب بينها وبين المساعد أبي حشيش، ثُم اتصلت بالعجوز عليش بلعون الذي قام بِضمّها إلى فريق تحقيقاتهم المستقل.

***

3

طفتُ أكثر من مرة حول كشكٍ يبيع الجرائد، دفعتُ للبائع على عجل، وأخذتُ منه العدد (4002) من صحيفة "القامشلي جليد"، الصادرة يوم الثلاثاء 6 يناير، بعدها عُدتُ إلى غرفتي المستأجرة غير آبهٍ بما يجري في الشارع، فتحتُ على صفحة الجرائم العالمية، ثم بدأتُ بِقراءة الجريمة الأولى.

"حقاً كان يوماً صعباً على الجميع":

قام رجل غاضب بِسبب فرار عشيقته بإزهاق أرواح عدد من الأشخاص، وقد أضرم النار في عدد من المنازل، وأحرق كثيراً من سيارات الشرطة قبل أن يلقى مصرعه بعد أن نشر الخوف والرعب في قلوب أفراد اعتادوا أن يعيشوا حياةً آمنة ومستقرة إلى حدٍ كبير، لم يكن هذا ضرباً من ضروب الأفلام السينمائية التراجيدية التي تعرض في أفخم الصالات العالمية، أو فيلماً من أفلام الخيال العلمي الحديث، وإنما في حقيقة الأمر كانت مأساة حقيقية بِكل معنى الكلمة، حيث نقلت ذلك الخبر المُفجع وكالات الأنباء جميعها.

هذا ما بدا عليه الحال عقب قيام تلك المجزرة التي ارتكبها فلاديمير، وكانت تعد أسوأ جريمة دموية شهدتها روسيا منذ سنوات بعيدة.

وقد بدأت عملية إطلاق نار كثيف في إحدى البلدات الريفية وكانت هذه البلدة تبعد بنحو مئة كيلو متر من عاصمة المقاطعة.

كشفت السلطات الأمنية تفاصيل جديدة، وتبيّن أن القاتل ارتكب تلك المجزرة البشعة على إثر مُشاجرة قوية بينه وبين عشيقته التي فرت من البيت واحتمت بإحدى الغابات القريبة من مكان سكنها لتنجو بِنفسها على ما يبدو من موتٍ أكيد مئة بالمئة.

وصرّح المتحدث باسم فريق التحقيقات الذي يتولى زمام القضية، بأن القاتل الذي قتلته الشرطة فيما بعد، كان قد خطط مُسبقاً لارتكاب هذه الجريمة البشعة التي راح ضحيتها العشرات ليس لهم أي ذنب، وقد قُتِلوا جميعاً في أكثر من ثمانية عشر موقِعاً مُختلِفاً، وفقاً لِبيانات الشرطة.

فقد أكدت السلطات الأمنية أنها تلقت اتصالاً هاتفياً من عشيقة فلاديمير أخبرتهم بأنه يقود سيارة تُشبه سيارة الشرطة تماماً. وذلك قبل أن تتلقى الشرطة اتصالاً آخر يؤكد مقتل رجلين وامرأة، وقيام الجاني بِحرق منزلهما بعد ذلك، ويبعد ذلك الموقع عن بيت الجاني حوالي 40 كيلو متراً.

وقبل ذلك كان فلاديمير قد أضرم النار في بيته قبل أن يقوم بِسلسلة هجماته العدوانية على ضحاياه الأبرياء، وكانت الشرطة تظن أنه قد انتحر، فتبين لاحقاً أن فلاديمير قد قام بقتل امرأة كانت تمشي في أحد الشوارع المقفرة، وقبل ذلك أوقف سيارة أجرة وقتل ركابها جميعاً بمن فيهم السائق، وعاد مُجدداً لِقتل رجل أمن إلا أن الأخير تمكن من الهرب على الرغم من إصابته بِجروحٍ بالغة جداً.

لم تتوقف تلك الجرائم المروعة بل قام القاتل بقتل ركاب سيارة أخرى.

وبعد مرور الوقت قام القاتل بارتكاب جرائمه المتعددة. ذلك الرجل المجنون والمهووس الذي كان معروفاً عنه الهدوء

والاتزان العقلي والسمعة الحسنة بين الناس؛ فقد استطاعت إحدى دوريات رجال الشرطة أن تتعقبه وقامت بِقتله وهو يهم بملء خزان سيارته بالوقود في محطة محروقات على الطريق السريع.

وأوضح رئيس الفريق الخاص بالتحقيقات في هذه القضية التي أحدثت ضجة واسعة واستنكاراً عاماً على طول البلاد وعرضها، أن عشيقة الجاني بدأت تتعافى أخيراً من هول الصدمة التي تعرضت لها، وقد أبدت تعاوناً مثمراً من خلال الإدلاء بمعلومات مهمة أثناء التحقيقات.

ولا ننسى أن الفتاة سارة كتبت عبارات مؤثرة وحزينة في نعي جدتها التي قضت في واحدة من هذه الحوادث الدموية المتعددة.

قالت:

_ لقد قتل هذا الوحش الآدمي ذو القلب الحجري جدتي من دون أن يرف له رمش، أشعر بِموجات من الأسى والألم الحاد والحزن الثقيل تسري في أنحاء جسدي من دون أن يترك مكاناً للراحة.

أيضا نعت صوفيا صديقتها المقربة والتي قضت في الحادث الدموي نفسه.

قالت:

_ للأسف الشديد ستظل قلوبنا محطمة بهذه الفاجعة العظيمة لمدة طويلة، ونحن نحاول تقبل خسارتها ورحيلها عنا بهذا الشكل الفظيع. لا أصدق أبداً أنها كانت بيننا في الليلة الماضية.

أخيراً قال المتحدث باسم الشرطة:

_ نقدم تعازينا إلى جميع أفراد أُسر ضحايا هذه المأساة. إنه حقاً كان يوماً عصيباً على الجميع.

اليوم سأكتفي بقراءة جريمة عالمية واحدة، لأنني متشوقٌ جداً ومتحمس للغاية لمعرفة أول خبر تنشره صحيفة قامشلي جليد عن التحقيقات التي قام بها المحقق الخاص آدم بريسكو مع فريقه بِشأن الجريمة التي وقعت في منزل قريب من المستنقع في مدينة القامشلي الجديدة.

"تفاصيل الجريمة المحلية":

عقارب الساعة كانت تُشير إلى السادسة صباحاً، عندما توقفت سيارة فان نصف سياحية من الحجم المتوسط، أمام منزلٍ قرب أحد المستنقعات المائية في مدينة القامشلي الجديدة، خرج منها ثلاثة أفراد على التوالي، رجل عجوز ضئيل الحجم، يسعل بِشكل متكرر كأنه سقيمٌ منذ الأزل، يُدعى عليش بلعون كان مُولَعاً بالكشف عن جرائم القتل، والرجل الثاني كان بِمنتصف العقد الرابع من عمره، بُنيته رياضية قوية، أكتافه عريضة، أصلع الشعر تماماً، يُدعى التحري آدم بريسكو، والشخص الثالث كانت فتاة نحيفة ورشيقة تُسمى آي الكاف العضو الجديد في فريق التحقيقات الخاصة.

جاؤوا إلى هذا المكان على إثر تلقي العجوز بلعون مكالمة هاتفية صباح اليوم من رجل ادعى أنه سائق العائلة، واسمه فريد

النون للتحقيق في مقتل ربة البيت، ما زالت جثتها موجودة داخل المنزل. قبل أن يُخبر ذلك الرجل عناصر الشرطة أولاً.

سأل المحقق بريسكو:

-هل عنوان المنزل هذا صحيح سيد بلعون؟

-أنا متأكد تماماً أنه العنوان نفسه الذي زودني به المتصل.

-في أي ساعة اتصل الرجل؟

-الخامسة صباحاً.

- ألا تنام؟

-قليلاً.

- ألاحظ أنك تستهلك وقت نومك لتزيد ساعات عملك أو نشاطك.

- نعم.

- ألا يمكن أن تكون حالتك هذه مرتبطة بِخلل في الساعة البيولوجية لديك؟

- يمكن.

قطعت المصورة آي المحادثة بينهما:

-ما مواصفات المنزل؟

التفت إليها العجوز وأجاب:

-منزلٌ مكونٌ من طابقين يقعُ على شارعٍ عريض، لونُ بابِ المدخلِ أزرقُ فاتحٌ، وله حديقةٌ خلفيةٌ واسعةٌ.

رَدَّتْ آي:

-يا سيد بلعون الشارع مقفرٌ، ولا توجد حركة أمام أي من هذه المنازل المتجاورة. هل يمكنك الاتصال بالرجل؟

قبل أن يقوم العجوز بفتح جواله والنظر إلى رقم السائق الذي اتصل به هذا الصباح، فتح الباب، وظهر لهم رجلٌ طويل القامة كانت عيناهُ حمراوين كمجرتين مُشتعِلتين.

رحب بهم السائق، ودعاهم للدخول على الفور بِصوت يقطرُ حُزناً وألماً:

-تفضلوا أيها السادة الأفاضل.

لبوا الدعوة ثلاثتُهم، المصورة آي في المقدمة وعلى كتفها حقيبة التصوير، تبعها المحقق المساعد عليش العجوز، بينما تخلف عنهم المحقق بريسكو، وكأنه يريد أن يدرس المكان من أول لحظة وصوله. لقد لفت انتباهه قفل الباب، لا توجد آثار اقتحام على باب الشقة، أخرج دفتره الصغير وسجل فيه دخول آمن.

في الممر واجه السائق الطويل المحقق المساعد بلعون قائلاً:

-أنت غني عن التعريف، يا سيد بلعون.

هز بلعون رأسه:

-طبعاً.

اقترب السائق من المحقق بريسكو:

-إن لم يخب ظني، أنت التحري المشهور آدم بريسكو الأصلع.

ابتسم بريسكو ابتسامة الرضا عن النفس وأجاب:

-أنا هو.

تدخل العجوز بلعون:

-وهذه الآنسة آي الكاف.

فقال السائق:

-اسمي فريد، أهلاً بكم.

سأل بلعون السائق:

-لا أرى غيرك في المنزل؟

-سيدي وابنته في الطابق العلوي، إنهما مُحطمان، ولا يكفكفان غير دموعهما. لقد أصابتهما صدمة كبيرة، والخادمة لم تأتِ بعد.

في الوقت الذي كان العجوز بلعون يحقق مع سائق العائلة، كان المحقق بريسكو يسجل في دفتره الصغير عدد الأفراد الذين كانوا يعيشون في مسرح الجريمة.

سأل المحقق العجوز:

-أين جثة السيدة؟

أجاب فريد، وهو يُشير بيده إلى آخر الممر على جهة اليسار:

-الجثة بالمطبخ يا سيد بلعون.

وقبل أن يتحركوا.

تدخل المحقق بريسكو:

-هل حدثت أشياء أخرى؟

أجابه السائق فريد النون:

-لقد عبث بمحتويات خزانة ملابس السيدة، وقد اختفى صندوق مجوهراتها.

فقال المحقق بريسكو وهو يعطي تعليماته وأوامره لفريق تحقيقاته الخاص:

-سيد بلعون اذهب مع السيد فريد إلى غرفة نوم السيدة لتفقد الوضع.

والتفت المحقق بريسكو إلى المصورة آي يسألها:

-يا آنسة آي، هل الكاميرا جاهزة؟

أجابت آي بِرشاقتها المعهودة:

-نعم جاهزة يا سيدي.

-إذاً قُومي الآن بِمسح الشقة ووثقي كل ركُن وزاوية بدءاً من المدخل والشرفات الخارجية وصولاً إلى أدق التفاصيل، لضمان الحفاظ على الأدلة من التلف في مسرح الجريمة رقمياً، وبِمُجرد الانتهاء من المسح العام، انتقلي لتصوير جثة السيدة من زوايا متعددة.

بينما توجه المحقق الخاص آدم بريسكو العبقري نحو مطبخ العائلة، لِيرى الجثة عن قُرب، ولكن عند دخوله رأى باب المطبخ الخلفي مفتوحاً على مصراعيه، وكان يطلُ مباشرةً على حديقة واسعة كانت مُخصصة لِزراعة الخضروات المختلفة. وكان السياج الخارجي للحديقة مؤلفاً من أعمدة حديدية وشبك معدني متين، فأثار هذا الأمر فضوله قليلاً، ترك جثة القتيلة، وتقدم بِخُطى بطيئة نحو آخر السياج من الجهة الشمالية للشقة، ثُم أطل برأسه مُندفعاً خارج السياج، شم رائحةً كريهة كانت تأتيه من تلك الجهة، حاول أن يُبصر إلى البعيد، فلمحَ مستنقعاً مائياً ليس ببعيد عن مكان وقوفه، وظل

يتأمله لِبعض لحظات، ولم يلبث أن أقفل راجِعاً إلى جثة المرأة الراقدة في المطبخ وقد فارقتها الحياة.

إن المحقق بريسكو يُريد أن يُسابق الزمن في جمع الأدلة، قبل أن يأتي المحقق الجنائي بِصحبة الطبيب الشرعي، جلس القُرفصاء أمام الجثة الغارقة بالدماء، يُدقق بِجسد المرأة الممددة على أرضية المطبخ، أدهشه شيء صغير كان راقداً على جبهة القتيلة، أخرج ملقطاً صغيراً من جيبه، وأخرج علبة صغيرة من جيبه الآخر، وبحركة من يد مُتمرسة في العمل، انتزع ذلك الشيء، ووضعه في العلبة الصغيرة، ثُم أغلق عليها الغطاء بإحكامٍ شديد، والتفت من حوله فلم يرَ أحداً، وقام بِدسها في جيب معطفه الداخلي، والشيء الثاني الذي لفت انتباهه بِشدة أكثر، أنه لاحظ تجمع أغلبية الدماء النازفة حول منطقة صدر المرأة المقتولة، وحين دقق النظر في أصابع يدها، أثار دهشته خلوها تماماً من أي علامات تدل على وجود عنف أو مقاومة أثناء وقوع الجريمة، وكأنها كانت في حالة تخديرٍ كُلي. أخرج التحري بريسكو دفتر ملاحظته الصغير وسجل فيه استسلام كامل دون

مقاومة للقاتل، وبِمُتابعة التدقيق في مُعاينة بقية أجزاء الجثة المُسجاة أمامه، رأى أن باقي الأعضاء كانت سليمة ما عدا منطقة الثديين.

إذاً جاءت طعنات السكين جميعها في القلب، غالباً ما يترك الجاني أداة الجريمة في مسرح الجريمة إلى جانب الجثة، ويفرُّ مولّياً الأدبار. لم يعثر على تلك الأداة، ليقوم برفع البصمات عنها، قام متوجهاً نحو أدراج المطبخ التي تحتوي عادةً على مجموعة من السكاكين والشوك والملاعق بِمختلف أنواعها، فتح أكثر من درج لم يجد فيها سكيناً، أو حتى أداة حادة، لم يبقَ إلا الدرج الأخير كان فارغاً من محتوياته، وجد فيه حلمتي المرأة مقطوعتين، إنه لشيء عجيب وغريب ألا يوجد في المطبخ كله سكين أو أداة حادة، يا للهول كيف قام بقطع الحلمتين، أي شيطان آدمي نتعامل معه؟! وفي غيابه الكلي في التأمل، نبهته المصورة آي أنها انتهت من تصوير جميع الأماكن التي كُلفت بِتصويرها.

قالت المصورة آي:

-سيد بريسكو لقد قُمتُ بتصوير الأماكن كلها.

-حسناً.

وتابع المحقق بريسكو:

-يفضَّل تسجيل مقطع فيديو لضمان شمولية المشهد.

أجابته المصورة آي:

-حسناً.

ثُم جاء السيد بلعون ومعه سائق العائلة وانضموا إليهم.

سأله المحقق بريسكو:

-ما الأشياء التي اختفت؟

أجابه السيد بلعون:

-اختفى صندوق المجوهرات فقط.

فقال بريسكو:

-فتشنا المطبخ بالكامل ولم نجد فيه أي أداة حادة.

في تلك اللحظات دخل المحقق الجنائي المساعد أبو حشيش مع عناصر الشرطة والطبيب الشرعي إلى الشقة، عندما رأى فريق

التحقيقات الخاصة، تبادلوا التحيات، واقترب أبو حشيش القصير ذو الوجه الأسود من المحقق آدم بريسكو والسيد عليش بلعون سألهم:

-هل من معلومات تفيد القضية؟

أجابه المحقق بريسكو:

-ليس بعد.

تدخل العجوز بلعون:

-يا أبا حشيش سنترك مسرح الجريمة لكم، لأن عددنا أصبح كبيراً، وأخاف أن تفسد الأدلة، غداً سنأتي لأخذ إفادة الشهود، وسنطّلع على نتائج تقرير الطبيب الشرعي.

رد أبو حشيش:

-موافق ولكن بِشرط.

سأله المحقق بريسكو:

-ما الشرط؟

-لن أعطيكم أية معلومة من دون مقابل، لأنكم تعملون بالأجر.

غمز له العجوز بلعون:

-موافقون.

وأضاف:

-ستظل تعبد المال حتى آخر يوم بِحياتك.

أجابه أبو حشيش الجشع.

-وهل هناك أفضل من المال.

ثُم انسحب فريق التحقيقات الخاصة بقيادة المحقق بريسكو العبقري، من مسرح الجريمة، على أن يعودوا غداً، لإتمام التحقيقات مع الشهود الموجودين في المكان نفسه.

"تتبع بالعدد القادم".

***

4

اعتدتُ كل صباح أن أعرج على كشك الجرائد واليوم اقتنيتُ العدد (4003) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الأربعاء 7 يناير، طقسي المعتاد يبدأ حين أنزوي في غرفتي، حيث أجد السكينة التامة، وما إن استقررتُ هناك حتى رحتُ أتصفح أوراق الجريدة الصفراء، غارقاً في تفاصيل صفحة الجرائم العالمية.

"الانتحار الجماعي":

أقنعت إحدى الأمهات المهووسات أفراد عائلتها جميعهم بقتل أنفسهم.

في حادثة تبدو غريبة من نوعها، استطاعت إحدى الأمهات المجنونات إقناع أفراد أُسرتها بالقيام بإنهاء حياتهم تلبيةً لرغبة الأم، عن طريق إلقاء أنفسهم من ارتفاع شاهق جداً، اعتقاداً منها بأن العالم لا يستحق أن يعيش الإنسان فيه. وكانت تؤمن بأن هناك نظرية مؤامرة.

قامت الأم بإقناع زوجها وشقيقتها التي كانت تعيشُ معهم في المنزل نفسه، وابنتها وابنها البكر بالقفز من فوق برج إيفل ففقدوا جميعاً حياتهم، كان ذلك بعد تفشي جائحة كورونا العالمية التي حصدت أرواح الملايين من البشر، واندلاع حروب متفرقة في العالم.

لم يبقَ من هذه المأساة العائلية المروعة إلا ابنها البكر، الذي أُصيب بكدمات بليغة وجروحٍ خطيرة جداً، وتم إسعافه إلى أقرب مشفى، حيث دخل في حالة من الغيبوبة.

ومع مرور الأيام وتحسن صحته، استفاق الابن البكر من حالة الغيبوبة، لكنه فقد الذاكرة نتيجة الصدمة القوية.

وأكدت تحقيقات الشرطة الفرنسية بكل وضوح وشفافية أن الضحايا لم يظهروا أي مقاومة قبل عملية موتهم النهائي.

وعندما حضر الطبيب الشرعي وقام بتشريح الجثث لم يلاحظ أي أثر للمخدرات أو لمواد غريبة في أجسام الضحايا، ولم يسمع أي من الشهود صوت صراخهم.

وقد تبنت السلطات الأمنية موقفاً مبنياً على فرضية مفادها أن الحادث هو عملية انتحار جماعي أقنعت الزوجة جميع أفراد أُسرتها غريبي الأطوار بذلك.

وأكدت السلطات الأمنية بما لا يدع مجالاً للشك، حتى بنسبة واحد بالمئة، أن الزوجة وشقيقتها التي كانت تعيشُ مع العائلة، كانتا تؤمنان بذلك إيماناً مطلقاً.

وجمعت السلطات معلومات كثيرة عن هذه العائلة بعد الحادث البشع، دون أن تؤكد وجود أي هوى أو ميل من أفرادها نحو الانتحار وقتها.

وأظهرت التحقيقات التي جرت في سياق تلك القضية، أن أفراد العائلة جميعهم كانوا في حالة عزلة تامة عن محيطهم الاجتماعي، وكانوا منغلقين على أنفسهم تماماً، وكانوا نادراً ما يخرجون من شقتهم، وكانت الأم تحتفظ بأولادها داخل الغرفة ذات الجدران الصماء، وتقوم بتعليمهم بِنفسها، من دون أن تسمح لهم بالتعلم في المدرسة أسوة بباقي أقرانهم.

كانت الأم وشقيقتها العانس تحتجان على سياسة الدولة وسياسة السلطات المحلية، وهما على اعتقاد أن عالمنا الحالي أصبح بؤرة للشر والفساد، وأقنعتا الزوج والأطفال بصحة ما كانتا تفكران فيه.

وأكد المتحدث الرسمي باسم لجنة التحقيقات الأمنية أن ما زاد الطين بلة ظهور جائحة كورونا الأخيرة، إضافة إلى نشوب حروب متفرقة في أنحاء العالم، وهذا ما عزّز من إيمانهما بهذه الأفكار.

أجمعت اللجنة على أن الانتحار الجماعي لم يكن وليد اللحظة، بل خُطِّط له بدقة متناهية هرباً نحو عالم أفضل. وقد تأكَّد ذلك بأدلة دامغة اكتشفها فريق التحقيق إثر تفتيشٍ دقيق لأركان الشقة ومحتوياتها كافة.

انتقلتُ إلى الجريمة العالمية الثانية.

"عقد صفقة مع قاتل مأجور":

شهدت المملكة المتحدة جريمة قتل تُشبه في تفاصيلها ووقائعها سيناريو فيلم سينمائي من الدرجة الأولى، فقد وجه قاضي

التحقيق إلى السيد هاري، وهو ينتسب إلى واحدة من أفضل وأرقى العائلات الإنجليزية، تهمة قتل زوجته وابنه، وقد بدأ القاضي بالكشف عن وجود أحداث خطيرة قام بها القاتل، وجميعها حدثت معه على مدار الأعوام السابقة، ومن هذه الحوادث الغريبة التي أثارت مشاعر الرأي العام أنه قام بقتل الخادمة التي تعمل لديهم بالمنزل، وتظاهر أنه تعرض لمحاولة قتل، تبيّن أنها كانت خطة من تدبيره الشخصي بالذات.

وقام قاضي التحقيق الإنجليزي بتوجيه اتهامات إلى السيد هاري بالقتل العمد وحيازة سلاح ناري إثر عملية قتل عنيفة نفذها بحق زوجته وابنه قبل عامين.

وتشير لائحة الاتهامات الأخيرة التي نشرتها الجهات الأمنية، إلى أن السيد هاري قد قام بإطلاق النار على زوجته وابنه بالسلاح نفسه وفي منزل العائلة نفسه.

بدأت تفاصيل الحادثة المروعة قبل عامين، عندما تم العثور على الزوجة والابن، وقد قُتِلا بالرصاص الحي في منزل العائلة

الريفي، وبعد الانتهاء من عملية القتل، اتصل اللاعب المشهور هاري بالجهات الأمنية ينتحبُ باكياً، مدعياً أنه جاء إلى منزله الذي كان غائباً عنه، وعندما دخل عثر مصادفة على جثتي زوجته وابنه مقتولين معاً. وأكد للشرطة أنه لم يلاحظ وجود أي شخص آخر في المكان، واتضح فيما بعد أن جريمة القتل نفذت بسلاحين مختلفين، كانا مسدساً وبندقية صيد.

على مدى عامين تقريباً، ظلت تلك الجريمة بلا متهمين، وبعد اكتشاف أدلة جديدة ظهرت أثناء التحقيقات، قررت عناصر الشرطة القبض على القاتل، وبيّن رئيس فريق المفتشين في التحقيقات الأولية أن كمية الدم المتناثر على ملابس السيد هاري، تثبت بالدليل القاطع أنه كان قريباً من أحد ضحاياه من أهل منزله عندما قام بإطلاق النار عليه، عكس ما كان يدَعيهِ من أنه لم يكُن موجوداً وقت وقوع جريمة القتل.

كما وجد رجال الشرطة في جوال هاري عدداً من التسجيلات الصوتية واللقطات المرئية، يتحدث فيها إلى زوجته من جوال ابنه،

كان ذلك قبل مقتلهم، وقد تمت هذه التسجيلات في الوقت نفسه الذي كان هاري يدعي أنه لم يكن موجوداً في المنزل الريفي.

كما نشرت سجلات التحقيقات تفاصيل إضافية بحق السيد هاري، فقد أشارت إلى قضايا عدة منها عملية انتحار واحتيال وحالة وفاة غير متوقعة.

وما جعل القضية تأخذ بُعداً آخر، لتبدو وكأنها أحداثُ فيلمٍ سينمائي حقيقي، هو مقتل الخادمة؛ إذ عُثر على جثتها مُلقاةً أسفل درج منزل السيد هاري.

وفي التحقيقات التي أجرتها الشرطة وقتها لم يتم توجيه أصابع الاتهام لأي فرد من أفراد عائلة السيد هاري، وقد تم التعامل مع الحادثة على أنها نتيجة حادث عرضي جرى أثناء تأدية العمل.

فيما بعد تم التوصل إلى تسوية قانونية بين عائلة الخادمة وعائلة اللاعب المشهور هاري، ليحصل أفراد عائلة الخادمة على تعويض كبير جداً من السيد هاري، لكنه لم يلتزم بدفع ذلك المبلغ المحدد.

وفي سابقة غريبة من نوعها تعرض هاري نفسه لعملية إطلاق نار، بينما كان يقومُ بتغيير إطار سيارته على جانب الطريق السريع، مما أدى إلى إصابة هاري بِجرحٍ خطير في الرأس، لكنه بطريقةٍ ما قام بالاتصال بالشرطة التي حضرت على الفور إلى مكان الحادث وتم إنقاذه، وتبين فيما بعد من خلال نتائج تحقيقات الشرطة أن السيد هاري عقد صفقة مع قاتل مأجور ليقوم بِقتله. كان الغرض من تلك العملية بِرمتها تمكين ابنه الصغير من الحصول على مبلغ مالي ضخم جداً من التأمين.

أتت تلك الواقعة تقريباً بعد يومين من اتهام إدارة النادي لهاري في إقامة صفقة بملايين الدولارات مع نادٍ آخر، وعلى إثر ذلك قاموا بِطرده من الفريق.

أخيراً بعد أن نجا السيد هاري من حادثة إطلاق النار على جانب الطريق السريع، وافق على الدخول إلى إحدى المصحات من أجل إعادة التأهيل للتخلص من آثار المواد المخدرة التي تعاطاها لمدة طويلة جداً من الزمن.

"العودة إلى تفاصيل الجريمة المحلية":

لم يتأخر الغدُ في المجيء على فريق التحقيقات المستقلة، فمع خيوط الصباح الأولى، كان المحقق بريسكو يقود حافلته الفان نصف السياحية متوجهاً نحو قلب مدينة القامشلي. توقف أمام الفندق ليقلَّ صديقه السيد بلعون أولاً، قبل أن ينطلقا معاً نحو الحي الشعبي الصاخب. كان هدفهما التالي أخذ المصورة آي الكاف معهما، شريكتهما الثالثة في الفريق. وبينما كانت الحافلة تشق طريقها، للذهاب إلى ذلك المنزل المنشود الرابض على مقربة من المستنقع المائي حيثُ تنتظرهما بداية الخيط.

في الطريق سأل المحقق بريسكو:

-آنسة آي، منذ متى وأنت تسكنين في هذا الحي الشعبي؟

-أنا ولدتُ وترعرعت في هذا الحي، فماذا عنك يا سيد بريسكو، أين تسكن؟

فأجاب بدلاً عنه العجوز بلعون ضاحكاً:

-لن تصدقي لو أخبرتكِ بمكان إقامته.

-كيف؟

-هذه الحافلة نصف السياحية هي بيته المتنقل، يسكن فيها وينطلق بها كل صباح ومساء.

قالت المصورة آي:

-السيد بريسكو بلا منزل خاص؟ يا لها من مفاجأة!

-نعم. بلا منزل خاص.

-أين يأكل؟

-داخل الحافلة.

-وأين ينام؟

-في الحافلة.

قالت آي:

-غير معقول.

تابعت:

-متزوج؟

-لا. عَزَب.

-ما السبب؟

- سأقولُ لكِ لاحقاً.

قالت آي مستغربة:

-لله في خلقه شؤون.

أجابها المحقق بريسكو مبتسماً:

-يا آنسة آي، بالنسبة إليَّ، السكن في حافلة أفضل من منزل ثابت، فالمنزل الثابت يملكَكِ، أما الحافلة فأنت من يملكها ويقودها في الاتجاه الذي تريده.

وتابع المحقق بريسكو:

-فالحياة أقصر من أن نقضيها في مكان واحد.

هنا كانت المفارقة الأولى في رحلتها، فالمصورة الرشيقة التي بهرها الذكاء اللامع للمحقق بريسكو الفذ، لم تتخيل يوماً أن تلك العبقرية يمكن أن تسكن حافلةً متواضعة بسيطة لا جدران ثابتة لها.

وقبل النزول من الحافلة، وهم على باب المنزل الذي جاؤوا إليه لمتابعة التحقيقات مع الشهود، كان المنزل يبدو ساكناً مُريباً، وكأنه يترقب وصولهم، ويعد الثواني لدخولهم، وقبل أن يدق العجوز بلعون جرس الباب.

سألت المصورة آي:

-كيف يرتكب شخص ما جريمة قتل؟

أجابها المحقق بريسكو:

-هناك أسباب نفسية غالباً ما تدفع الشخص إلى ذلك، لكني أؤمن بشكل قاطع بأن التنشئة الأسرية المضطربة في منزل مفكك، تسوده الخلافات والعنف الدائم، تُعزز السلوك الإجرامي لدى أفرادها، كوسيلة أساسية يلجؤون إليها لحل النزاعات فيما بينهم وبين الآخرين.

عقَّب العجوز بلعون عليه:

-كما قال جون واتسون: أعطوني اثني عشر طفلاً أصحاء، صحيحي التكوين، وهيئوا لي الظروف والمناخ المناسب لتربيتهم في عالمي الخاص، وسأكفل تدريب أي منهم، بعد اختياره عشوائياً، كي يصبح مختصاً في أي مجال يريد، فيكون محامياً أو يكون طبيباً أو رساماً أو تاجراً أو حتى يكون شحاذاً ولصاً، وذلك بغض النظر عما يملكه من مواهب وميول وقدرات وحرف.

أجابه المحقق بريسكو:

-لا تنسَ يا بلعون أن هناك دوراً للمورثات.

-بالتأكيد، فهناك مدرستان مختلفتان في علم النفس: مدرسة فرويد ومدرسة يونغ تؤكدان ذلك الاختلاف في الرؤية.

بوجهٍ يكسوه الوجوم، كان السائق فريد في استقبالهم، اجتمعوا في غرفة المعيشة تحت دقات ساعة الجدار التي أعلنت السابعة صباحاً.

سأله المحقق المساعد بلعون:

-أين الجميع؟

-ماذا تقصد بالجميع؟

-أهل البيت.

-سيدي نوري الواو في غرفة نومه في الطابق العلوي.

-أين البقية؟

-الآنسة رشا أيضاً في غرفة نومها.

-ماذا عن طاقم الخدم؟

-لا يوجد غيري، والخادمة حنان الجيم.

أكملت المصورة آي متابعة الأسئلة:

-عنصرا الخدمة هما اثنان فقط؟

-نعم، اثنان.

-ألا يوجد لديكم مزارِع أو بستاني للعناية بحديقة الخضروات المنزلية؟

-لا.

-من يقوم بالعمل في الحديقة؟

-أنا وسيدي نوري.

-أين الخادمة؟

-إنها تأتي في الساعة الثامنة والنصف صباحاً، ومازال هناك أكثر من ساعة على موعد حضورها.

كان الجميع جالسين، بينما انفرد المحقق بريسكو بصلعته اللامعة في التحرك ذهاباً وإياباً، قبل أن يُخرج دفتر ملاحظاته الصغير من جيبه الداخلي، ممسكاً بالقلم بين أنامله.

قال المحقق بريسكو:

-هل في إمكاني، يا سيد فريد، أن أسألك بعض الأسئلة؟

-تفضل.

-يرجى تحديد موقعك في الفترة الزمنية التي شهدت مقتل السيدة رنا؟

- لقد ذهبتُ مع الآنسة رشا لزيارة صديقتها الكوافيرة.

-كم كانت الساعة حينها؟

-الثامنةَ والربعَ مساءً.

-متى عدتَ أنت والآنسة رشا إلى المنزل؟

-التاسعة إلا ربعاً.

قام السيد بلعون بسؤاله:

-سيد فريد، أفهم من ذلك أنك خرجت مع الآنسة في الثامنة والربع كانت السيدة في حالة طبيعية، وعندما عُدتم في التاسعة إلا ربع، وجدتم أنها كانت مقتولة، أليس هذا صحيحاً؟

- هذا ما حصل.

سألت آي الرشيقة:

-أين كنت يا سيد فريد، حينما كانت الآنسة رشا بصحبة مصففة الشعر؟

-كُنتُ في الشارع.

-هل انتظرتها أم غادرت؟

- انتظرت.

-هل هناك من يثبت وجودك في الشارع؟

-لستُ أدري.

-ألم تلاحظ وجود كاميرات مراقبة في المكان الذي كُنت فيه؟

-لا أعلم.

سأله السيد بلعون:

-ألا يمكن أن تكون في ذلك الوقت، قد استغللت الفرصة ورجعت إلى المنزل لتقتل السيدة، ثم قمت بسرقة مجوهراتها؟

أجابه السائقُ فريدٌ، شاحب الوجه:

-لا يمكن أن أقتل ولي نعمتي، يا سيد بلعون.

فقال له بلعون:

-أمام سطوة الذهب والجسد، تتلاشى إرادة البشر وتذوب حصونهم مثل ذوبان الشمع.

قاطعهم المحقق بريسكو سائلاً:

-يا سيد فريد، ما نوع العلاقة الزوجية بين السيد نوري وزوجته القتيلة؟

-في الواقع، كانت العلاقة بينهما دائمة التوتر.

-هل من سبب واضح في تلك الخلافات؟

-بالتأكيد.

-ما هو؟

-يا سيد بريسكو، الأمر كله يتعلق بالخادمة حنان.

-هل هي جميلة إلى هذا الحد؟

- فوق ما تتصور.

-لماذا لم تطردها المدام؟

-حاولت أكثر من مرة.

-ما الذي حصل؟

-بقيت الخادمة.

-أنها فشلت في طردها؟

-نعم. فشلت.

حتى تلك اللحظة من التحقيقات، ظل السائق الشخص الوحيد في الواجهة، فقد كان صاحب الدار، لاهياً في نومه، وكذلك ابنته التي لم تغادر غرفتها، أما الخادمة فكانت لا تزال غائبة عن المشهد.

سألت الفتاة آي من فريق التحقيقات الخاصة:

-ما نوع العلاقة بينك وبين الآنسة رشا؟

- علاقة عمل.

-هل تبادلت معها أية مشاعر عاطفية؟

-أرفض هذا الاتهام.

-بالنسبة إليها؟

-ليس لي علم.

-ألم تُصارحك بمشاعرها؟

-لا.

-هل أقامت علاقات عاطفية مع شخص آخر؟

-الكثير.

-هي متعددة العلاقات؟

-هكذا يقولون.

تدخل المحقق بريسكو قائلاً:

-يا سيد فريد، شكراً لك على تعاونك. غداً سنأتي في الساعة الثامنة والنصف صباحاً لنأخذ أقوال الخادمة حنان، هل في إمكانك إخبارها؟

-بكل سرور.

وقبل مغادرتهم.

قال المحقق المساعد بلعون:

-بلِّغ تحياتنا للسيد نوري، وأخبره بأننا نقوم بجمع الأدلة، وسنستمع لأقوال الجميع.

-نعم، يا سيدي.

قالت المصورة آي:

-سؤال أخير؟

-تفضلي.

-هل أنت متزوج؟

-عزب.

-لماذا؟

-أنا في مرحلة تنظيم لأوضاعي المالية، لأن الأمور ليست في أفضل حالاتها حالياً.

فقال العجوز بلعون:

-نستأذن بالانصراف.

أجابه السائق فريد متجهماً:

-بأمان الله.

ثُم غادروا.

سأل السيد بلعون من داخل الحافلة الواقفة في الشارع:

-سيد بريسكو، ما انطباعاتك الأولية حتى الآن تجاه هذه القضية؟

أخرج بريسكو دفتر ملاحظاته الصغير قائلاً:

-بتقديري، منذ لحظة دخولنا المنزل، تبيّن أن قفل الباب الأمامي وقفل باب المطبخ المطل على حديقة الخضروات لم يتم فتحهما عنوة.

أجابه السيد بلعون:

-هذا لا يعني سوى شيء واحد. القاتل يملك نسخة من المفاتيح.

-مما لا شك فيه.

سألت المصورة آي المحقق بريسكو:

-هل تعتقد أن الجاني من أفراد العائلة، أم تراه أحد الخدم؟

-تبقى الشبهة تلقي بظلالها على الجميع بلا استثناء، حتى نصل إلى تحديد هوية مُرتكب هذه الجريمةِ المروعة.

-هل استرعى انتباهك شيء آخر في مسرح الجريمة غير ذلك القفل، يا سيد بريسكو؟

-ثمة جزئية جوهرية لا يمكن التغافل عنها، وهي أن الطعنات تركزت بدقة في منطقة الصدر فقط، بينما ظل باقي الجسد سليماً بشكل يثير الريبة. لكن المشهد الأكثر رعباً كان في المطبخ، حيث عثرتُ في أحد أدراجه على حلمتي الضحية المقطوعتين.

سأله العجوزُ بلعونُ بأعصابٍ قوية:

-ماذا ترى؟

-أرى الجريمة تتحدث عن نفسها.

-كيف؟

أجابه المحقق الخاص بريسكو:

-انظر إلى تمركز الطعنات. كلها في منطقة القلب والصدر. هذا ليس قتلاً عشوائياً بهدف السرقة فقط، القاتل كان يفرغ حقده في مكان واحد.

سألت المصورة آي، وهي تنظر من نافذة السيارة إلى جانب الطريق:

-يا سيد بريسكو، هل من تفصيل آخر؟

-دونتُ في دفتر ملاحظاتي شيئاً مهماً جداً. هناك استسلام كامل من الضحية للقاتل، بلا أي مقاومة.

-هذا يشير بوضوح إلى أن المجني عليها كانت تحت تأثير مادة مخدرة وقت وقوع الاعتداء عليها.

تدخل المحقق المساعد بلعون قائلاً:

-إن تقرير الطب الشرعي يؤكد خلوَّ جسم المجني عليها من مواد مخدرة.

قالت آي:

-هذا يدل على أن الزوجة لم تكن نائمة، بل كانت في حالة صدمة كاملة، صدمة جمدت أطرافها ومنعتها حتى من الدفاع عن نفسها حين رأت القاتل يرفع السكين في وجهها. لم يقتلها السلاح فقط، بل قتلتها المفاجأة أولاً.

أجابها المحقق بريسكو سريعاً:

-أحسنتِ.

أعطاها ذلك حافزاً إضافياً.

سألت آي:

-ما نسبة تورط السائق فريد في عملية القتل؟

ردَّ عليها المحقق بريسكو:

-سؤال جيد. في اعتقادي، إن انشغال الآنسة رشا مع مصففة الشعر، وعلمه بوجود السيدة رنا وحيدةً في ذلك التوقيت، دفعه إلى استغلال الفرصة ليعود بالسيارة إلى الشقة، فنفذ جريمته وسرق المجوهرات، ثُم عاد إلى نقطة الانتظار، قبل خروج الآنسة رشا من

عند صديقتها، وعدم وجود دليل يثبت موقعه وقت وقوع الجريمة لا ينفي عنه التهمة.

تدخل المحقق المساعد بلعون قائلاً:

-لا يمكن تبرئة السائق.

سأل المحقق بريسكو:

-لماذا؟

أجابه المحقق المساعد بلعون:

-عندما سألته الآنسة آي بخصوص حالته المادية، أكد لها ضيق ذات يده، مما يثبت حاجته الماسة إلى المال، وهو الدافع الذي حمله على قتل المدام رنا، وسرقة مجوهراتها.

فقال المحقق بريسكو:

-تحليل رائع، يا سيد بلعون.

-شكراً.

انطلق المحقق بريسكو وحيداً صوب مختبر التحليل الخاص، وذلك بعدما أتم مهمة توصيل العجوز بلعون إلى مكان إقامته في فندقٍ وسط البلد وتوصيل الآنسة آي إلى منزلها في الحي الشعبي.

***

5

العدد (4004) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الخميس 8 يناير.

قرأتُ القصة العالمية الأولى.

"الخيانة والقتل":

يستهزئ كثير من الناس بخيانة الرجال دائماً، ويقولون: لا أمل فيهم، ولكن ماذا يمكنهم أن يقولوا إن خانت المرأة، وفكرت في الشروع في عملية القتل. تزوج جورج وصوفيا منذ خمسة عشر عاماً، وعاشا معاً حياة حلوة ومنسجمة كما بدا أمام الجميع. كان جورج رجلاً ملياردير اً، وقد أنجبت منه صوفيا أربعة أبناء، وكانا يعيشان في رغد وبحبوحة ويسافران سوياً إلى أماكن كثيرة حول العالم، وكان جورج رمزاً للوفاء والإخلاص. فما الذي تريده صوفيا أكثر من هذا؟ في عيد ميلاده السابع والأربعين، قامت صوفيا بتقديم هدية له في علبة ذهبية مغلفة بعناية، وأخبرت جورج أنها تحبه بجنون، وأنها غير قادرة على تخيل طعم الحياة من دونه، مما دفع جورج إلى مبادلتها

كلمات أشد وأقوى حباً، وما يجول بقلبه وعقله من شغفٍ نحوها، في مواقف عدة حسدهما كثيرون من الذين حضروا حفلة ميلاد جورج.

وبعد انتهاء حفلة الميلاد احضن جورج صوفيا، وتوجه الزوجان لركوب سيارتهما التي كانت صوفيا قد ركنتها في أحد الشوارع المظلمة بجانب الحانة، ولكن جورج، وأثناء سيرهما معاً، رأى ظلاً قريباً منه في الشارع نفسه، فتراجع بقلق وتوتر وأخبر زوجته صوفيا أن يغيرا هذا الطريق، ولكنها أصرت على رأيها وجذبته برقة بالغة وطمأنته بعدم وجود أي شيء خطير هناك، ودفعته للمضي قدماً حتى يغادرا ذلك الشارع الغارق في الظلام الحالك، وعقب تجاوز المكان الذي لمح فيه جورج الشبح، تفاجأ جورج بشيء معدني لامع على رقبته، لم يدرِ ما حدث بعدها سوى أن دماءه الغزيرة كانت تسيل على الأرض ولمع المكان لوهلةٍ أمام عينيه، وحثّ زوجته على الفرار بسرعة، موصياً إياها بأن تعتني بالأطفال، قبل أن يفقد وعيه تماماً.

استيقظ جورج ليجد زوجته صوفيا جالسة إلى جانبه وتبكي بحرقة وحزن على ما ألم به، أمسك يدها برفق وطبع عليها قبلةً تفيضُ حناناً، هامساً بكلمات الشكر والامتنان لكل ما تبذله لأجله، سأل عما حدث، فجاءه الرد كالصاعقة: لقد حاول أحدهم ذبحك. وبفضل سرعة تدخل الأطباء، نجا من الحادث بأعجوبة قلَّ نظيرها. كانت صوفيا تستأذن من جورج لتعود إلى المنزل، من أجل الاطمئنان على الأبناء، وتعود ثانيةً إلى زوجها في المستشفى، وكانت في كل مرة تظهر بمظهر الزوجة العطوف الحنون، تلك التي تستميتُ في رعاية زوجها، ولا تفتأ تبذل كل غالٍ ليعبر معه نحو الشفاء التام واستعادة صحته ثانيةً، ولا تهمل في أداء واجباتها تجاه أبنائها، وكانت تتصل بشكل دائم برجال التحقيق، لتتأكد من إلقاء القبض على المجرم، فيا لها من زوجة وفية ومخلصة! وفي يوم لاحق عادت صوفيا إلى المستشفى، ففوجئت بشقيق جورج يخبرها بأن رجال الشرطة قد ألقوا القبض على الرجل الذي حاول الاعتداء على أخيه، تبدلت

نضارة وجهها إلى قتامة مفاجئة، وقدمت اعتذاراً لتعود إلى البيت، مما جعل شقيق جورج يشتبه في تورطها وأن لها يداً في الأمر.

مرت ساعات وجورج يحاول الاتصال بزوجته دون جدوى، فلم تجب على مكالماته، ولم يلمحها أحد، ولحظة رؤيته رجال الشرطة شعر بأن هناك خبراً سيئاً قد أصاب زوجته فبدأ يقلق عليها وظن أن بها مكروهاً ما، ليصدم بما أخبره رجال الأمن، أخبروه بأن زوجته من دبرت حادث قتله، بدافع التخلص منه بواسطة عشيقها، لتفسح الطريق أمام العشيق ليتربع على عرش قلبها بعد تصفيته، هبطت كلمات الشرطة على رأس جورج ككوكب عملاق، فبات لا يدري شيئاً عما يحدث.

اعترفت صوفيا بكل ما فعلت، عندما علمت أن رجال الشرطة بصدد القبض على الفاعل، بعد أن حاصرها شبحُ السجن، استسلمت الزوجة للأمر الواقع وتوجهت إلى قسم الشرطة للإدلاء باعترافاتها، خاصة بعدما أقرَّ شريكها بكل تفاصيل الجريمة فور توقيفه.

القصة الثانية.

"غريزة الكلب":

تنزه رجلٌ من نيوزيلندا مع كلبه كالمعتاد في إحدى المناطق الزراعية خارج البلدة، لكن الكلب بدأ يحفر بشكل يثير الريبة، ما أثار استغراب الرجل حينها.

عندما اقترب من المكان، وجد بقايا ملابس ممزقة وحذاءً أسود اللون في التربة.

أبلغ الرجل الشرطة، وعند القيام بالحفر عثروا على جثة تعود لشاب مفقود منذ أكثر من عام.

بعد التحقيقات التي أجرتها الشرطة، تبيَّن أن المغدور كان على خلاف حاد مع أحد أصدقائه، الذي قتله ودفنه في الأرض الزراعية اعتقاداً منه أن أحداً لن يعثر عليه.

لكن بفضل غريزة الكلب الذكي، كُشف السر، وتم القبض على القاتل في النهاية، وتحققت العدالة.

القصة الثالثة كانت بعنوان:

"الرسالة الغامضة":

كانت جوليا تستعد لحفل زفافها في هولندا بعد قصة حب دامت لسنوات.

كانت حياتها تبدو مثالية جداً، حتى جاء يوم اختفائها قبل أن يتم زفافها بأسبوع. لم يكن هناك أي أثر لها ولم يطلب أحد فدية مالية من أهلها، مما جعل الشرطة في حيرة تامة.

بعد شهرين من البحث والتحري، تلقى المحققون رسالة مجهولة المصدر كُتب فيها: "ابحثوا خلف مدينة الملاهي تحت شجرة الصنوبر الوحيدة"، وعلى الفور، انتقل فريق التحقيقات الجنائية إلى الموقع المذكور ليجدوا تحت شجرة الصنوبر الوحيدة بقايا جثة مشوهة ملفوفة بفستان زفاف أبيض.

أظهرت نتائج الفحص الجنائي أن الجثة تعود إلى جوليا، والمفاجأة أن الوفاة كانت قديمة، إذ قُتلت في أول يوم لاختفائها.

نقطة التحول هنا:

بقي السؤال يحير الجميع: من الذي أرسل الرسالة؟ وكيف عرف مكان الجثة؟

راقبت الشرطة المنطقة حول مدينة الملاهي، فلاحظت رجلاً كان يحوم حول ذلك المكان، ألقت القبض عليه ليتبين أنه شقيق العريس. انهار المتهم أثناء الاستجواب واعترف بارتكاب الجريمة، حيث كانت الغيرة العمياء هي دافعه الوحيد بعدما أحب جوليا سرّاً، ولم يكن يحتمل رؤيتها تتزوج بأخيه وأن يراها بين أحضان غيره.

وبهذا، أُغلق ملف القضية، لولا تلك الرسالة الغامضة التي أتت بالحل، والتي مازالت هوية مرسلها مجهولة حتى اليوم.

"متابعة الجريمة المحلية التي وقعت قرب المستنقع":

يعتذر رئيس تحرير صحيفة "القامشلي جليد" لقرائه الكرام عن عدم نشر الجزء المتعلق بالتحريات الخاصة التي يقوم بها المحقق آدم بريسكو وفريقه في جريمة "المنزل قرب المستنقع".

بدلاً من ذلك، نخصص هذا العدد للحديث عن توثيق مسرح الجريمة وأهمية التصوير، فالتصوير واحد من أهم الطرق الأساسية التي يستخدمها رجال المباحث والمحققون لكشف ألغاز جرائم القتل.

"التصوير":

تتمثل المهمة الجوهرية للتصوير الفوتوغرافي في مسرح الجريمة في تسجيل الوضع القائم وتوثيق الأدلة المادية وعلاقتها المكانية ببعضها. يوفر هذا التوثيق مرجعاً بصرياً حاسماً للمحقق، يسهل عليه عملية الربط والتحليل الفني للآثار في مراحل التحقيق المتأخرة من دون الحاجة للحضور الميداني الدائم.

ويعد التصوير العين الفاحصة التي توثق التفاصيل الدقيقة التي قد يعجز القلم عن وصفها بدقة متناهية. ففي الجرائم المعقدة جداً، يوفر التصوير سياقاً بصرياً لمكان الجريمة، موضحاً المسافات والزوايا وعلاقة الأدلة مع بعضها، ويجعله قابلاً للفهم من قبل القضاة والمحققين الذين لم يحضروا إلى مسرح الواقعة.

ويتم تنظيم الصور الملتقطة من مسرح الجريمة بدءاً من المنظر العام وصولاً إلى تصوير كل أثر على حدة وربطه بالآثار الأخرى، ويُدوّن شرح مختصر كتعليق أسفل كل صورة ملتقطة يبين فيه مكان الالتقاط ومحتوى الصورة أيضاً.

ويجب على المصور المحترف قبل العمل أن يتأكد من صلاحية آلة التصوير لديه، وكذلك يجب فحص الإضاءة والفيلم في وقت واحد، وعليه أن يقوم بشحن جميع البطاريات، وأن يكون ملماً بظروف الحادث ليحدد أسلوب الجاني وأماكن وجود الشهود، وتحديد أفضل الأماكن لالتقاط الصور، وأن يلتقط عدداً هائلاً من الصور لمسرح الواقعة من الاتجاهات جميعاً ومختلف الزوايا، ومراعاة وضوح تلك الصور بالدرجة الأولى، وأن يتم أخذ صورتين لكل منظر لتلافي الأخطاء، وعليه حساب المسافات المناسبة عند كل عملية التقاط جديدة.

ويعتمد توثيق مسرح الجريمة فوتوغرافياً على طبيعة المكان، ففي المسرح المفتوح ينصبّ تركيز المصور على ربط الموقع بمحيطه

الجغرافي، وتوثيق إصابات الأشخاص وآثار العنف، بالإضافة إلى إبراز الأدلة المادية الظاهرة والخفية ورصد الحاضرين في المحيط. أما في المسرح المغلق، فيشمل التصوير المداخل والمخارج والمحتويات الداخلية والخارجية بدقة، مع الحرص على تسلسل الصور وترابطها، ويفضل تعزيز ذلك بمقطع فيديو.

وفي الحالتين، يجب أن تلتزم الصور بالأمانة الواقعية، فلا يبالغ المصور في تقريب اللقطة فيبدو الأثر أكبر من حجمه الحقيقي، ولا يبتعد فيبدو أصغر من حقيقته. وتكمن القيمة الجوهرية لهذا التوثيق في حماية الأدلة المنقولة التي قد تتأثر أو تتلف بسبب الفحوصات المخبرية، وفي تجسيد الأدلة غير المنقولة لتقديم مشهد واقعي دقيق أمام القضاء والمحققين يغنيهم عن الانتقال الميداني إلى الموقع.

بقلم المصورة آي الكاف.

***

6

تجلت بركات السماء هذا العام في هطولٍ مطريٍّ مستمر لم يعرف الانقطاع، تكادُ النسبة المئوية تتخطى الحدود المعهودة، مبشرةً بالخير العميم. وقد وثقتُ هذه اللحظات باقتناء العدد (4005) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الجمعة 9 يناير.

لا أخفيكم سراً، ثمة مصير مجهول يتربص بي مع اقتراب نهاية التحقيقات التي يجريها المحقق بريسكو وفريقه الخاص في تلك الجريمة المحلية التي وقعت قرب المستنقع، والتي أتقصى أثرها عبر صفحات هذه الجريدة بالذات، الأمر الذي دفعني إلى الإدمان على متابعة عمود الجرائم العالمية المقتبس. وكأنني أبحث فيه عن مهرب أو إنذارٍ مُسبق. يتضح اليوم توجه أسرة التحرير نحو تكثيف نشر شهادات وقصص الناجين.

"سر بقائها حية":

نجت شابة صينية من موت محقق بعد أن علقت سيارتها نحو أسبوع إثر حادث مروري مروع.

وتمكنت الفتاة من البقاء على قيد الحياة بفضل شربها للماء من جدول صغير بجانب منحدر سقطت فيه، حتى عثرت عليها فرق الإنقاذ.

وبحسب السلطات المحلية، وجد عامل في معدات الصرف الصحي سيارة الشابة محطمة بعيداً عن الطريق، بالقرب من إحدى محطات القطار. وبعد إبلاغ مديره وتوجههما إلى الموقع، وجدا الشابة داخل السيارة وهي لا تزال واعية وقادرة على التحدث رغم إرهاقها الشديد.

وعلى الفور، هرعت فرق الإنقاذ إلى الموقع وتمكنت من استخراجها ونقلها جواً إلى مستشفى العاصمة لتلقي العلاج. وكانت عائلة الشابة أبلغت عن اختفائها قبل عدة أيام من العثور عليها.

وأوضح والدها للشرطة أن الحادث وقع ليلاً عندما غلبها النعاس أثناء القيادة، مما أدى إلى انحراف السيارة وسقوطها في حفرة عميقة.

وأضاف والدها:

-أن ابنته تعرضت لإصابات في ساقيها ومعصمها منعتها من الحركة، كما تعذر عليها طلب الاستغاثة لوقوع هاتفها تحت مقعد الركاب. وعن سر بقائها حية، قال الأب:

-إن ابنته استغلّت وجود السيارة قرب جدول مائي، حيث كانت تستخدم قطعاً من ملابسها لغمسها في الماء ثم عصرها في فمها لتروي عطشها طوال فترة احتجازها.

"متابعة تحقيقات الجريمة المحلية":

لم تكن الحافلة مجرد وسيلة نقل، بل كانت صومعة المحقق بريسكو وملاذه الذي يرسو به حيثما استكانت نفسه. هناك، وقبل أن يغالب النوم جفنيه، يعقد مع ذاكرته جلسة محاكمة أخيرة، يغربل فيها معلومات الشهادات وتفاصيلها التي جمعها طوال يومه من الشهود، فينتقي منها الجوهري والمهم لِيُودعه خزائن عقله، ويُلقي بالهوامش في سلة نسيان باطنه.

ومع إشراقة كل صباح، ينطلق بحافلته وفريقه الخاص لفك طلاسم قضية مقتل زوجة السيد نوري الواو. واليوم، تترقبهم محطة محورية سيتم فيها استنطاق الخادمة الفاتنة حنان الجيم في مواجهة حاسمة ربما تكون متورطة في عملية قتل سيدتها. وبينما يقطعون الطريق نحو اكتشاف الحقيقة، لا تتوقف المصورة آي عن إثارة الأسئلة في كل جولة منذ بداية التحقيقات، كأنما هي محاولة منها كي تستبق الأحداث قبل بلوغ مسرح التحقيق.

سألت المصورة آي:

-هل مسألة الجمال عند المرأة نسبية؟

أجابها المحقق بريسكو الذي كان يقود الحافلة بسرعة لا تتجاوز الأربعين:

-نعم.

-كيف؟

-رغم وجود مقاييس جمالية عامة قد تتأثر بعوامل ثقافية، إلا أن الذوق والتفضيل الشخصي يظلان أمرين نسبيين يختلفان بشدة من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر.

-هل يقتصر الانجذاب العاطفي والإعجاب على مظهر المرأة فقط؟

أجابها المحقق الخاص بريسكو بعد أن أوقف حافلته بجانب الطريق:

-إن جاذبية المرأة وملامحها تشكلان معاً لوحة متكاملة ترسمها شخصيتها، فذكاؤها يمنحها هيبة إضافية، وأسلوبها اللبق في التحدث يضفي عليها سحراً خاصاً، كما أن أخلاقها العالية هي النور الذي يجعل جمالها يبدو حقيقياً ومريحاً في عيون الآخرين، بينما غياب هذه الصفات قد يطفئ حتى أجمل الملامح.

قبل الدخول إلى المنزل ختم المحقق المساعد بلعون بالسؤال الأخير:

-لماذا يحاول كثير من الرجال الاقتران بامرأة جذابة، وينفرون من غير الجذابة؟

أجابه المحقق بريسكو:

-الأمر سهل.

-كيف؟

-لتجنب انتقادات أو سخرية الآخرين لهم.

تجاهلٌ تام وجفاء ملحوظ، هكذا كان استقبال الخادمة حنان لفريق المحققين رغم انتظارها لهم، لكن كسر الجليد لم يدم طويلاً، فقد تمكن المحقق المساعد بلعون بحصافته من اختراق حصونها المنيعة وتلطيف الموقف بذكاء فطري تجلى في سؤاله الأول:

-كيف حالُكِ يا صغيرتي الفاتنة؟

ضحكت من أعماق قلبها وردت عليه:

-كل الشكر على لطفك.

تقدمت منها المصورة آي وقالت:

-نحن فريق متخصص في إجراء التحريات والتحقيقات الخاصة.

-أهلاً بكم.

-أفهمُ أنكِ الخادمة حنان.

-نعم.

قالت آي:

-أنا المصورة آي الكاف، هنا بجانبي المحقق المساعد عليش، وهناك رئيس الفريق المحقق العبقري آدم بريسكو.

-يتشرف المكان بحضوركم، تفضلوا إلى غرفة المعيشة أيها السادة الكرام.

قال السيد بلعون:

-نودُّ الجلوس في المطبخ.

قالت الخادمة:

-حسناً.

أخذوا أماكنهم حول طاولة المطبخ بينما ظلت الخادمة واقفة.

سألت آي:

-أين السائق فريد؟

-غادر السائق فريد بصحبة الآنسة رشا منذ قليل.

-متى يعودان؟

-لم أجرؤ على سؤالهما.

-أين السيد نوري؟

قالت الخادمة الفاتنة بدلال:

-لا يزال السيد نونو مستغرقاً في النوم داخل غرفته في الطابق العلوي.

-هل أصابه الأرق بسبب مقتل زوجته؟

-لا.

-لماذا؟

أجابت الخادمة:

- يُعد التأخر في النوم عادةً شائعة عند السيد نوري.

-إذاً مرة نونو ومرة نوري.

-نعم.

دَوَّن المحقق بريسكو في دفتر ملاحظاته انطباعاً عن السيد نوري أنه رجل كسول، لكن الحوار مع الخادمة كشف عن وجهٍ آخر لامرأةٍ ماكرة، تُراوغ كالثعلب وتتلاعب بالحقائق، تتبدل مشاعرها نحو الرجال في لمح البصر، تارةً تلتصق بهم كظلٍ لا يُفارق، وتارةً تتلاشى كحلم عابر، مغلفةً نفسها بغموض يترك الرجل في مهبِّ الحيرة والاضطراب العاطفي.

سألت الخادمة بامتعاض:

-ماذا تشربون؟

أجابتْ المصورة آي:

-لا شيء.

ردتْ الخادمة بتبرم:

-هذا أفضل.

كانت الخادمة حنان قلقة للغاية.

قال لها المحقق بريسكو:

-تفضلي بالجلوس، يا آنسة حنان.

-لا أحب الجلوس.

- كما تُريدين.

-نود الاستفسار عما إذا كان في إمكانك الإجابة على بعض الأسئلة لتوثيق شهادتك حول غموض مقتل السيدة رنا.

-تفضل.

سألها المحقق بريسكو:

-هل دخلت القفص الذهبي أم لا؟

-بمَ يهمك هذا الأمر، يا سيدي؟!

-مجرد سؤال.

-سألتزم الصمت بهذا الشأن.

-من حقكِ ذلك.

سألها المحقق بريسكو:

-عذراً آنسة حنان، كم عمرك؟

-عشرون.

-هل والدتك لا تزال تنير حياتكم؟

-لا.

-هل والدك أطال الله في عمره على قيد الحياة؟

-لا. الاثنان تُوفّيا وأنا صغيرة.

-هل لكِ إخوة أو أخوات؟

-مقطوعة من شجرة.

-هذه سنة الحياة.

-طبعاً.

-أين تعيشين؟

-مع عمتي.

دوَّن المحقق بريسكو في مفكرته الصغيرة ملاحظة لافتة؛ أن الخادمة حنان المشتبه بها امرأة متحررة، غادةٌ هيفاء استوفت معايير الجمال. وفي زاوية أخرى من المشهد، كانت تجسيداً لثورة مكتومة، إذ راحت تدق الأرض بقدميها في تذمرٍ حاد، وتخبط يديها على كل شيء بعنف، بينما طالت ركلاتها العشوائية أرجل الطاولة والمقاعد المحيطة بها.

سألها المحقق بريسكو:

-في أي ساعة تنهين عملك عادةً؟

-في الثامنة مساءً.

توقف المحقق بريسكو لبرهة، ثم استدار نحوها وعيناه تضيقان بتركيز وهو يسألها من جديد:

-ألم يسترع انتباهك أي سلوكٍ شاذ أو مريب صدر عن السيدة قبل تلك الليلة المشؤومة؟

سألت الخادمة:

-مثل ماذا؟

أجابها المحقق بريسكو:

-مُشاجرة، مشادّة، نزاع، خلاف.

-مع من تقصد؟

-مع السيد نوري.

-لم أرَ.

-ماذا بشأن ابنتها الآنسة رشا؟

-لا شيء.

-أأنتِ متأكدة؟

-بكل تأكيد.

-هل وقعت أية مشكلة بينها وبينكم أثناء أداء الخدمة؟

-أبداً.

تدخلتْ المصورة آي:

-هل كنتِ يوم وقوع الحادثة مكلفة بعمل إضافي؟

-لا.

-أين كنت بعد الثامنة، حينما وقعت الجريمة؟

-في الطريق ذاهبة إلى البيت.

-هل شاهدك أحد في الطريق؟

-لستُ متأكدة.

-هل استرعى انتباهك ظهور أي أعراض مرضية عليها قبيل الحادثة الأليمة؟

أجابت الخادمة بهزة من رأسها:

-قطعاً.

-هل لديها تاريخ مرضي في تناول العقاقير النفسية المعالجة للقلق والاكتئاب؟

-لا أتذكر شيئاً.

ساد صمت قصير.

سألها المحقق المساعد بلعون:

-يا آنسة حنان؟

-نعم.

-من الصعب إخبارك بأن الوضع الراهن لا يصبُّ في مصلحتِكِ تماماً.

-كيف؟

-فُقدت جميع سكاكين المطبخ دفعةً واحدةً.

-كلها؟!

-نعم. كلها.

-وما ذنبي؟

-لأنك المسؤولة عن عدة المطبخ.

سألت الخادمة بفزع:

-ماذا تعني؟

-أعني أنه اتهام خطير ضدكِ.

قالت الخادمة الفاتنة، وهي تصرخُ بحدة:

-لستُ أنا. يمكن أن يكون أي واحد.

-من تقصدين بالتحديد؟

قالت بانزعاج:

-لا أحد.

تدخل المحقق بريسكو:

-هدئي من روعك، يا آنسة حنان.

-كيف تطلب مني أن أهدِّئَ من روعي، وهو يتهمني بجريمة قتل لم أرتكبها؟

-يا آنسة حنان، أسئلتنا هي مجرد محاولة لاستيضاح بعض النقاط المهمة، التي قد تقودنا إلى الجاني المتورط في هذه الواقعة البشعة، وليست اتهاماً مُباشِراً لشخصِكِ.

أصبح الوضع أفضل مما كان عليه منذ قليل.

أجابت الخادمة المرعوبة:

-أشكرك، يا سيد بريسكو.

سألتْ آي الخادمة مجدداً:

-هل تحرش بكِ السيد نوري؟

-لا.

-ولا مرة.

-أبداً.

تنهدت الخادمة من كثرة الأسئلة.

سألها المحقق المساعد بلعون:

-ما طبيعة العلاقة التي تربطك بالسائق فريد؟

أجابت الخادمة:

-علاقة زميل عمل.

-ألا تعتقدين بوجود احتمال أن فريد هو من ارتكب الجريمة؟

-لا أعلم.

ثم دخلت الخادمة الفاتنة في نوبة بكاءٍ هستيرية.

فقال لها المحقق بريسكو:

-يا آنسة حنان، سنغادر الآن. نرجو منكِ إبلاغ السيد نوري الواو بأننا سنحضر غداً في تمام الساعة العاشرة صباحاً لأخذ إفادته. لقد جئنا خلال اليومين الماضيين وكان السيد نائماً، لذا نرجو التأكيد عليه ليكون مستعداً في هذا الموعد.

-بالطبع، يا سيد بريسكو.

-إلى اللقاء.

-إلى اللقاء يا سيدي.

في طريق العودة، وداخل الحافلة التي تُقل فريق التحقيقات الخاصة بقيادة آدم بريسكو، دار حوار بينهم تعقيباً على شهادة الخادمة حنان التي أدلت بها للتو.

بدأ المحقق المساعد بلعون الحديث متسائلاً:

-ماذا استنتجت من شهادة الخادمة، يا سيد بريسكو؟

ردَّ بريسكو بهدوء:

-من أين تريدني أن أبدأ؟

قالت المصورة آي مقترحةً:

-البدء من نقطة الصفر سيكون أفضل بلا شك.

أجابها بريسكو:

- البداية كانت مع جفاء الخادمة وتجاهلها المتعمد لنا، لولا براعة السيد بلعون في احتواء المواقف الصعبة، التي جعلتها ترحب بنا في نهاية المطاف.

سأل بلعون مجدداً:

-ماذا بعد؟

استطرد بريسكو قائلاً:

-لقد اتسمت إجاباتها بالرفض والإنكار لأغلب أسئلتنا، وفي تقديري، سيكون من الصعب استخلاص أي دليل ملموس منها يدفع بالقضية نحو الحل.

تدخلت آي متسائلة:

-هل من تفاصيل أخرى؟

أضاف بريسكو:

-لقد أخفت عنا مسألة العذرية، وأنكرت وجود أي علاقة عاطفية مع السيد نوري، أولاً، استناداً إلى شهادة السائق فريد، وثانياً رغم تحررها الواضح ونشأتها بعيداً عن قيود الأسر المحافظة.

سألت آي ملخصةً الموقف:

-إجمالاً كيف تقيم شهادتها؟

أجاب بريسكو بحزم:

-لقد أدلت بشهادة باطلة.

ختمت آي الحوار بسؤالها الأخير:

-هل تعتقد أن الخادمة متورطة في مقتل سيدتها؟

هنا أجاب المحقق المساعد بلعون:

-أرى أن كتمانها لبعض الحقائق وتناقض أقوالها مع أقوال السائق فريد، يضعانها بلا شك هي والسيد نوري الواو على رأس قائمة المشتبه بهم.

***

7

العدد (4006) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم السبت 10 يناير.

بدأتُ بقراءة عمود القصص العالمية كالعادة.

"الحقيقة تظهر بعد فوات الأوان":

في حكم وُصف بأنه انتصار متأخر جداً، أمرت المحكمة الهندية الحكومة بدفع مبلغ مليون دولار كتعويض لرجل عجوز، قضى قرابة أربعة عقود من عمره محتجزاً بالخطأ. ويعد هذا المبلغ أكبر تعويض جنائي يُمنح في تاريخ الهند، وفقاً لفريقه القانوني.

رحلة العذاب: من الاتهام إلى الحبس الانفرادي.

بدأت المأساة قبل أربعين عاماً، عندما أُلقي القبض على الرجل بتهمة قتل صاحب عمله وأفراد أسرته الخمسة. وتحت وطأة استجواب قسري استمر لأكثر من شهرين، اعترف الرجل بارتكاب الجريمة نتيجة تعرضه للضرب والتهديد، وهو الاعتراف الذي تراجع عنه لاحقاً أمام المحكمة مؤكداً براءته، لكن دون جدوى.

الحقيقة تظهر بعد فوات الأوان:

طوال تلك العقود، انتظر الرجل تنفيذ عقوبة الإعدام، وقضى معظم فترات احتجازه في حبس انفرادي موحش، مما أدى إلى تدهور حاد في حالته العقلية والنفسية. ولم تظهر الحقيقة إلا حديثاً، عندما أُعيدت محاكمته بفضل ظهور أدلة جديدة من الحمض النووي (DNA) أثبتت بشكل قاطع عدم تورطه في الجريمة، ليصدر حكم ببراءته.

اليوم، يخرج الرجل إلى فضاء الحرية بجسد منهك وعقل أرهقته العزلة، حاملاً تعويضاً مادياً قد يضمن له حياة كريمة فيما تبقى من عمره، لكنه بالتأكيد لن يعيد له أربعين عاماً ضاعت بين جدران الزنازين المظلمة.

القصة الثانية كانت بعنوان:

"الرجل الغامض":

على وقع تطور تقني مذهل، نُفض غبار النسيان عن قضية جنائية هزت النمسا قبل خمسين عاماً؛ إذ شكّلت بصمة إبهام منسية

على علبة سجائر الخيط الرفيع الذي مكّن السلطات أخيراً من فك طلاسم جريمة خنق امرأة في ريعان شبابها.

تعود أحداث القصة إلى عقود مضت، حين غادرت ماريا مطعماً للوجبات السريعة في منطقة سكنية راقية، ملقيةً بكلماتها الأخيرة لأصدقائها. سأعود بعد خمس عشرة دقيقة. شوهدت ماريا وهي تغادر برفقة رجل مجهول الهوية، لكن تلك الدقائق امتدت إلى أبدية، فلم تعد ماريا أبداً.

فقد عُثر على جثتها لاحقاً في منطقة محطة القطارات، وتبيَّن من التحقيقات أنها تعرضت لاعتداء جنسي وحشي، ثم خُنقت باستخدام شريط حقيبتها الخاصة. ولم يكتفِ القاتل بذلك، بل حاول إضرام النار في سيارتها لإخفاء معالم جريمته، لكن المحاولة فشلت، وبقيت السيارة شاهدة على العنف الذي حدث.

وبالرغم من رسم صورة تقريبية للمشتبه به واستجواب العشرات، عجزت الشرطة حينها عن تحديد هوية الرجل الغامض، ليُغلق ملف القضية ويُحفظ ضد مجهول لسنوات طويلة. لكن العلم

لم ينم، ففي مراجعة حديثة للقضايا الباردة، قررت السلطات تمرير بصمة إبهام كانت قد رُفعت عن علبة سجائر وُجدت في مسرح الجريمة عبر التقنيات الحديثة.

ثم جاءت النتيجة صادمة، إذ تطابقت البصمة تماماً مع سجلات رجل يُدعى داني، وهو في آخر عمره. لم تكتفِ الشرطة بالبصمة، بل جمعت عينات من حمضه النووي، لتأتي الصاعقة بتطابقها مع العينات التي احتفظ بها الطب الشرعي لعقود، والتي وُجدت تحت أظافر الضحية وعلى شريط الحقيبة المستخدم في الخنق.

وكانت النهاية بوقوف داني العجوز أمام المحكمة اليوم، يواجه شبح جريمته التي اعتقد أن الزمن قد محاها. ورغم نجاح الأمن في محاصرته بالأدلة الدامغة، لا يزال الغموض يلف دوافع القتل وعمق العلاقة التي ربطته بماريا في تلك الليلة المشؤومة، ليبقى سيف العدالة سيكون الكلمة الأخيرة في كتاب هذه القضية التي استغرق اكتشافها نصف قرن تقريباً لتُكتب نهايتها.

نظراً إلى عدم وصول ملف تحريات المحقق آدم بريسكو حول الجريمة المحلية، قرر رئيس التحرير في هذا العدد نشر نص الحوار الذي دار داخل الحافلة بين المحققين الثلاثة: بريسكو، وبلعون، وآي.

على بساط سندسٍ لامع لا يذبل، توقفت الحافلة قبل نصف ساعة من موعد إفادة السيد نوري الواو. وبينما كان المرج يمتص غبار المكان ويمنحه نفساً نقياً، كان المحققون الثلاثة يغلي في داخلهم ماضٍ من التجارب المريرة، ثورة تشبه ثوران البركان الذي يلقي بحممه النارية ليحيل المروج اليانعة إلى أثر بعد عين.

أخرجت المصورة آي الكاميرا من حقيبتها، والتقطت صوراً للمناظر الطبيعية الخلابة المحيطة بها.

التفتت نحو السيد بلعون وسألته بفضول:

-لماذا لم تتزوج، يا سيد بلعون؟

أجابها بهدوء:

-بل تزوجت.

-وأين هي الآن؟

قالها بشوق:

-اختطفها الموت في حادثة قديمة، أفتقدها كثيراً.

-ألم تفكر في الزواج بعدها؟

-لا.

-ولماذا؟

-بسبب الحب الأعمى.

تابعت آي الرشيقة بدهشة:

-وهل يدفعك الحب للإضراب عن الحياة مجدداً؟

-نعم، وفائي لحبها يكفيني.

سألته مجدداً:

-ألم تنجبا أطفالاً؟

-لا، لم يكتب لنا ذلك.

هزت آي رأسها بذهول، وقالت:

-أستغرب كيف يعيش إنسان على ذكرى واحدة هذه السنين كلها!

هنا علق بريسكو مقاطعاً:

-لا تستغربي، يا آنسة آي، فصاحبنا يطبق حرفياً مقولة الشاعر الطغرائي في رثاء زوجته:

إِن ساغَ بعدَكَ لي ماءٌ على ظَمَأٍ فلا تجرعتُ غيرَ الصَّابِ والصَّبِرِ

عقبت آي متأثرة:

-يذكرني هذا ببيت شعر جميل درسناه في المدرسة للشاعر جرير يرثي زوجته:

لَولا الحَياءُ لَعادَني اِستِعبارُ وَلَزُرتُ قَبرَكِ وَالحَبيبُ يُزارُ

عادت آي لتوجيه حديثها إلى الرجل المسن:

-أيها العجوز بلعون، أظن أنك لا تملك بيتاً. دائماً أراك مقيماً في ذلك الفندق بوسط المدينة، أليس كذلك؟

-صحيح، هذا واقعي.

-ألم تندم يوماً على هذه الحياة المتقشفة؟

-أبداً، أنا من اختار هذا الطريق لنفسه بكامل إرادته.

سألته بنبرة قلقة:

-وأين ستُقيم إذا امتد بك العمر وتقدمت في السن؟

-سأذهب إلى دار العجزة.

نظرت إليه بعمق، وسألته:

-هل أنت راضٍ حقاً عن هذه المعيشة؟

ابتسم، وقال بيقين:

-كل الرضا.

هذه المرة جاء دور بلعون ليسأل آي عن تفاصيل حياتها السابقة:

-ماذا عنكِ، يا آنسة آي؟

-عني أنا؟

-نعم، عنكِ أنتِ.

-تزوجتُ ثلاث مرات.

-وحالياً؟

-أعيشُ بلا زوج.

هنا تدخل بريسكو في الحوار متسائلاً:

-ومن كان السبب في الفشل؟

أجابت آي بهدوء وثقة:

-لا يمكنني تبرئة نفسي مطلقاً. أعتقد أنه عند حدوث أي خلاف، لا يسعني القول إلا إن هناك طرفاً يتحمل ذنباً أكبر من الطرف الآخر.

عاد بلعون يسألها بنبرة هادئة:

-بعدها كيف كنتِ تشعرين؟

أجابت آي بملامح جادة:

-لا أخفيك سراً، يا سيد بلعون، لقد تألمتُ كثيراً مع بداية فشل كل تجربة، عانيتُ مرارة قاسية، وتراكمت في داخلي طبقات من الحزن والأسى في كل مرة، حتى شعرتُ وقتها كأن جبلاً جاثماً على صدري يطبق على أنفاسي ويكاد يخنقني في كل لحظة أعيشها.

استطرد بلعون متسائلاً:

-إذا لاحت في الأفق بوادر فرصة رابعة، هل ستكررين السيناريو ذاته؟

-ولِمَ لا؟

-على الرغم من هذه المآسي المتكررة كلها؟

أومأت برأسها إيجاباً، وقالت:

-نعم، على الرغم من ذلك كله.

-ألا تخشين الفشل للمرة الرابعة على التوالي؟

-لا، لن أخاف، كل ما في الأمر أنني سأتجرع جرعة زائدة من الألم واللذة معاً، لأضيفها إلى سجل تجاربي السابقة.

تابع بلعون حديثه متعجباً:

-أعرف نساءً أخريات، إن فشلن في زواجهن الأول، يعزفن عن الفكرة وينبذن الزواج إلى الأبد.

ردت آي بنظرة ثاقبة:

-تماماً كحالك أنت، يا سيد بلعون.

ابتسم بلعون، وقال مشيداً بذكائها الخارق:

-أصبتِ الهدف بدقة متناهية، يا آنسة آي.

التفتت آي نحو المحقق الآخر، وقالت:

-وماذا بشأنك أنت، يا سيد بريسكو؟

أجابها بريسكو بملامح غامضة:

-أنا عاشق الشاشة.

-وكيف تصف حالتك هذه؟

-حالتي نادرة ومعقدة، وتُعرف علمياً بـ "الهوس العشقي".

سألته آي:

-وما الجانب السلبي في هذا الشغف؟

-الجانب المظلم فيه أنه إذا تجاوز الحد، يقود صاحبه إلى العزلة التامة، ويجعل من الصعب تكوين علاقات واقعية، فضلاً عن إهدار كثير من الوقت والطاقة العاطفية في مشاعر وهمية غير متبادلة.

سألته آي باهتمام:

-ألم تختبر الحب الواقعي يوماً؟

-أبداً.

-هل هناك صلة قرابة تجمعك بالسيد بلعون؟

-نعم، زوجته الراحلة كانت قريبة لي.

وقعت هذه الكلمات عليها كالصاعقة، فكانت هذه هي المفارقة الثانية التي صدمت آي خلال رحلة معرفتها القريبة بالمحقق العبقري آدم بريسكو.

***

8

هذا هو العدد (4007) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة في يوم الأحد 11 يناير.

كالسابق، بدأت من عمود الجرائم التي وقعت في مختلف بلدان العالم.

"الجسد الهائج":

تسللت خيوط الشمس الذهبية في الصباح الباكر عبر النوافذ لتكشف عن مأساة لم تكن في الحسبان داخل أروقة الحرم الجامعي في نيوزلندا. توقفت سيارة عند البوابة الجانبية، ونزل منها شاب في العشرين من عمره، تغلي الدماء في عروقه بعد صدور قرار رسمي بحرمانه من دخول الاختبارات النهائية. كان الغضب يعمي بصيرته وهو يثبت مخازن الرصاص في حزام خصره، ويخفي سلاحاً نارياً اشتراه بصفقة مشبوهة وغير قانونية من السوق السوداء.

بخطوات سريعة، اقتحم الشاب الممر الطويل للمبنى الرئيسي. في تلك الساعة من الصباح، كان الحرم يضم الأساتذة

والطلاب الذين جاؤوا لتقديم الامتحانات. تحول الهدوء فجأة إلى رعب شديد، فانكمش الجميع داخل الفصول والمكاتب، وتجمدت الدماء في عروقهم، وهم يراقبون عبر النوافذ الزجاجية ذلك الجسد الهائج وهو يتجول في الطوابق العليا باحثاً عن ضحاياه.

لم تمضِ سوى لحظات حتى ترددت أصوات الاستغاثة في الأرجاء، وسرعان ما وصلت نداءات الطوارئ إلى مراكز الشرطة القريبة. في تلك الأثناء، كانت حالة من الارتباك تسود المكان مع محاولات الجميع الاحتماء خلف الأبواب المغلقة.

مع وصول طلائع قوات الأمن، تم تطويق المبنى بالكامل لمنع خروج المسلح أو تفاقم الموقف. رصدت عناصر الأمن الشاب، وهو يحاول التسلل خارجاً عبر أحد الأبواب الفرعية للمبنى، حاملاً سلاحه، وتبين لاحقاً أنه حصل عليه بطريقة غير مشروعة. وعندما طُلب منه الاستسلام، بادر بإطلاق النار باتجاه تلك القوات، مما أجبر أحد الضباط على الرد دفاعاً عن النفس وتأميناً للأرواح الموجودة في الموقع.

أسفر تبادل إطلاق النار عن مقتل الشاب في مكان الحادث. وبتمشيط الموقع وفحص المقتنيات التي كانت بحوزته، عُثر على قائمة بأسماء كانت مستهدفة، إلا أن التقارير الأولية أشارت إلى أن المواجهة العنيفة أدت إلى وقوع ضحايا من أعضاء هيئة التدريس لم تكن أسماؤهم ضمن تلك القائمة. انتهت الواقعة بسيطرة الأجهزة الأمنية على الموقف وبدء التحقيقات الرسمية لكشف الملابسات كافة المحيطة بهذا الحادث الأليم.

اليوم سأكتفي بقراءة قصة عالمية واحدة، وسأنتقِلُ مُجدداً إلى عمود صفحة الجرائم المحلية.

"متابعة تفاصيل الجريمة المحلية":

بأناقة تامة ووسامة خمسينية، استقبلهم السيد نوري وقادهم إلى غرفة المكتب.

التفت إليهم وقال بنبرة هادئة:

-أهلاً بكم.

بادر بلعون بالرد بأسف مصطنع:

-نحن نعتذر حقاً يا سيد نوري لأننا لم نلتقِ بك خلال اليومين الماضيين من التحقيقات. كنا نعلم مدى تأثركم بهذه المصيبة التي ألمت بعائلتكم.

هز السيد نوري رأسه ببرود:

-لا يهم. كيف حالك يا سيد بريسكو؟

أجابه السيد بريسكو بنبرته الهادئة المعتادة:

-بخير يا سيدي، وكيف حالكم أنتم؟

تنهد نوري بضيق:

-بخير لولا وجود هذا المحقق اللعين.

تدخل بلعون مستفسراً:

-تقصد المحقق الجنائي أبا حشيش؟

-نعم، هو بذاته.

عقّب بلعون مؤكداً:

-معك حق يا سيد نوري. فالمحقق أبو حشيش رجل طماع وأناني، همه الوحيد هو الارتشاء وجمع المال بطرق ملتوية، ولا يعنيه أي شيء في هذه القضية.

تمتم السيد نوري بنفور واضح:

-لا أطيق هذا الرجل.

وافقه بلعون بابتسامة باهتة:

-ونحن كذلك.

هنا، تقدم المحقق العبقري بريسكو خطوة، ووجه نظراته الثاقبة نحو السيد نوري، وسأله:

-هل لك أعداء يا سيد نوري؟

نصبَ نوري قامته، وأجاب بثقة:

-ليس لي أعداء.

-وما طبيعة عملك؟

-أمتلك مطعماً.

-حالتك ميسورة إذاً؟

-نعم، الحمد لله.

-هل تشك في شخص معين؟

بعد تفكيرٍ دام ثوان أجاب السيد نوري:

-لا، لا أحد.

التقط بلعون خيط الحديث متسائلاً:

-كيف كانت العلاقة بينك وبين المغدورة المدام رنا؟

أجاب نوري بنبرة طبيعية:

-خلافات عادية، من تلك التي تحدث بين أي زوجين.

-هل كنت تحبها؟

-نعم، بالطبع.

قاطع المحقق بريسكو الحديث فجأة، ملقياً بقنبلة موقوتة في الحوار الدائر:

-ألا ترى يا سيد نوري أن تصرف القاتل كان غريباً وساديّاً؟ لقد قام بقطع حلمتي القتيلة!

بدت الصدمة جلية على وجه نوري، وتمتم بذهول:

-أنت على حق، لقد كانت صدمة عنيفة بالنسبة إلي.

وقبل أن يطرح بريسكو سؤاله التالي، انفتح الباب ودخلت حنان حاملة صينية عليها ثلاثة أكواب من القهوة. ومع ظهورها المفاجئ، انقشعت معالم الأسى عن وجه السيد نوري، وتحولت فجأة إلى بهجة خفية لم تخفَ على عيون المحققين.

لاحظ بلعون هذا التغيير، فسأله مباشرة بعد خروجها:

-ألا تشك في هذه الخادمة؟

تنفس نوري بضيق وألم، وكأن الهواء شح في الغرفة، وأجاب بحدة:

-هذا مستحيل! لو شككت في نفسي، فلن أشك في هذه الخادمة المسكينة أبداً.

قاطعه بريسكو ببرود متسائلاً:

-من الذي أخذ سكاكين المطبخ كلها من المنزل؟

-لا أدري.

-حسناً، كيف كانت العلاقة بين الآنسة رشا وأمها قبل أن تُقتَل؟

تغيرت نبرة نوري، وظهر التأثر القاسي على صوته:

-كانت علاقة متوترة للغاية.

-ما السبب؟

-ابنتي رشا من النوع المبذر والمستهتر.

-أفهم من هذا أن متطلباتها المادية كثيرة ولا تنتهي عند حد معين؟

-نعم، يا سيد بريسكو، هذا ما أريد قوله لك بالحرف الواحد، إنها تتلف الأموال وتبذرها على أشياء تافهة لا قيمة لها كممزقة المستندات المكتبية.

سأله بلعون مستفسراً:

-ومن كان يمدها بتلك الأموال كلها؟

-والدتها بالطبع، غفر الله لها، هي من كانت تعطيها بلا حساب.

-ومن أين للمدام رنا هذه الثروة كلها؟

-لقد ورثت عن والدها ثروة طائلة، فقد كانت ابنته الوحيدة.

تابع بلعون استجوابه:

-وكيف كنت تتعامل مع الآنسة رشا؟

أجاب نوري بصرامة:

-تعاملي معها كان مختلفاً تماماً. من وجهة نظري، الدلال الزائد يفسد الأبناء.

عقّب المساعد بلعون:

-يمكنني أن أستنتج من هذا الكلام أنكما لستما على وفاق؟

تنهد نوري:

-نعم، لسنا على وفاق.

انتقل بلعون إلى نقطة أخرى:

-أين كنت وقت وقوع الجريمة بالتحديد؟

-في المطعم.

-هل هناك من يثبت وجودك في ذلك التوقيت؟

أجاب نوري بثقة:

-الجميع هناك يمكنهم إثبات ذلك يا سيد بلعون.

وهنا، حدق بريسكو في عيني نوري مباشرة وسأله بنبرة حاسمة:

-ما طبيعة العلاقة التي تربطك بالخادمة حنان؟

ثبت نوري نظراته وأجاب بيقين مصطنع:

-لا شيء بيننا على الإطلاق.

-ولكن السائق فريد أدلى بشهادة أولية تقول عكس ذلك تماماً.

امتعض وجه نوري، وقال باحتقارٍ شديد:

-يا سيد بريسكو، فريد واقع تحت تأثير الآنسة رشا بالكامل، وأصبح مجرد أداة بين يديها لا يرفض لها طلباً.

-هل تتهمها صراحة بقتل المدام رنا حرم سيادتكم؟

-هذا الأمر يعود إليكم، أنتم من يقود التحريات في هذه القضية ولست أنا.

عقّب المحقق بريسكو بجدية:

-هذا ما نسعى إليه بالطبع، وعملنا هو إظهار الحق وتحقيق العدالة.

سأل بلعون ملتفتاً حوله:

-هل الآنسة رشا موجودة الآن لنستمع إلى أقوالها؟

أجابه السيد نوري:

-لقد خرجت قبل قليل بصحبة السائق فريد.

-هل في إمكانك إخبارها أننا سنأتي غداً بعد الظهر لمقابلتها؟

-بالتأكيد، سأبلغها بالموعد المحدد.

نهض المحققان، وتبادلا نظرات غامضة، وفي غياب المصورة آي عنهم هذه المرة، غادرا المنزل الكئيب تاركين خلفهما الكثير من علامات الاستفهام.

***

9

العدد (4008) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة في يوم الاثنين 12 يناير. أصبحت هذه الصحيفة الورقية الصفراء طقسي المقدّس، وملاذي الحميم، لا تستهويني أرقام الاقتصادِ الباردة، ولا صراعات السياسة الجوفاء، وتمرُ عيناي عابرتينِ فوق صخب الملاعبِ وهوس الموضة الحديثة دون أدنى التفات، هناك بين أسطر الجريمة وحدها، أبحثُ عن غايتي ومصيري المتعلق بالتحقيقات، وأرتشفُ تفاصيل الغموض والنزعات البشرية من مختلف القصص العالمية.

"الموت بالسم الزعاف":

انطفأت الأضواء في غرفة الطعام إلا من شمعة واحدة كانت تتوسط المائدة. لم يكن هناك صراخ، ولا دوي لطلقة رصاص، ولا نصل سكين يلمع في الظلام. كل ما في الأمر أنّ ضيفاً ثقيلاً غير مرئي تسلّل وهبط على الطبق الشهي في هدوء مخيف.

كانت الضحية تبتسم وهي تجلس بكامل طمأنينتها، غافلة عن أن يد الانتقام لا تحتاج دائماً إلى عضلات مفتولة أو مطاردات صاخبة تجري في الشوارع المزدحمة؛ فالقاتل الذي يستخدم السم هنا يرتدي قناع القرب والمودة، قد يكون شريكاً في التجارة، أو أحد أفراد العائلة، أو حبيباً سابقاً تحولت مشاعره إلى بركان خامد من الكراهية.

نحن أمام عقلٍ يخططُ في السرّ، يراقب الضحية وهي ترفع الكوب بيمينها، لتبتلع نهايتها المحتومة بجرعة عصير أو حبة دواء غادرة.

دائماً يعتقد هؤلاء الجناة أنهم يملكون مفتاح الجريمة الكاملة، فالموت بالسم الزعاف يمنحهم تذكرة مجانية للوقوف في صفوف المعزين والتباكي مع الباكين. لكن خلف هذا الهدوء الخادع، كان هناك خصم آخر ينتظرهم في الظلام مشرط الطب الشرعي. لم تعد الأساليب الحديثة ترحم غطرستهم، فالجسد الساكن بات يروي للأطباء أدق تفاصيل الغدر، ويفضح جزيئات الموت المختبئة في أحشائه حتى بعد مرور سنين عليها.

تنتهي الحكاية دائماً خلف قضبان باردة، حيث يلتف حبل المشنقة حول عنق القاتل الذي ظن يوماً أن بسمته على المائدة ستحميه من سيف العدالة. ويبقى هذا النوع من القتل هو الأشد قسوة، ليس لأن الضحية تموت بلا فرصة للدفاع عن النفس، بل لأن الموت لا يأتيك فيه من عدو واضح يحمل سيفاً، بل يأتيك مصافحاً من يدٍ تتقاسم معك الخبز والملح.

مأساة العنوان الخاطئ: رصاص الشرطة ينهي حياة "أحمد" في منزله.

في فاجعة غريبة هزت الرأي العام في إحدى الدول العربية، تحول نداء استغاثة من سرقة منزلية إلى مأساة دامية راح ضحيتها مواطن بريء داخل جدران بيته، حيث لقي أحمد ذو الأربعين عاماً مصرعه برصاص قوات الشرطة، التي اقتحمت خصوصية منزله عن طريق الخطأ.

تفاصيل ليلة المأساة.

بدأت الواقعة عندما استجاب ضباط الدورية لبلاغ طارئ يتعلق بمحاولة سرقة منزل. وبسبب خطأ في تحديد الوجهة الصحيحة، انتهى المطاف برجال الأمن أمام باب منزل أحمد. وفي تلك اللحظات المتوترة طرق عناصر الشرطة الباب؛ ففتح السيد أحمد الباب مستفسراً وممسكاً بسلاحه الناري لحماية عائلته، الأمر الذي دفع الضابط فوراً إلى إطلاق الرصاص الحي صوبه دون تمييز، بذريعة أنه قام بإشهار السلاح في وجوههم.

صدمة الزوجة وغياب التبرير.

تعالت صرخات وعويل زوجة الضحية المكلومة في أرجاء المكان وهي تستغيث بذهول:" أرجوكم، ساعدوني، لقد أطلق أحدهم النار على زوجي". وجاءت الصدمة الكبرى لاحقاً حين تبين للجميع أن الضحية لا علاقة له بالبلاغ من قريب أو بعيد، وأن الشرطة دهمت المكان الخاطئ تماماً.

ردود الفعل الرسمية.

أقرت دائرة الشرطة، من جانبها، بمدى خطورة وفداحة هذا الحادث. وأكد المتحدث الرسمي في بيان عاجل:

"إننا نتعامل مع هذا الأمر بأقصى درجات الجدية، وسنفعل كل ما في وسعنا من جهود وتحقيقات لفهم ملابسات ما حدث بدقة. نقدم تعازينا لعائلة السيد أحمد، ونعرب عن أسفنا الشديد لوقوع هذه المأساة الناتجة عن تصرف غير مسؤول".

"متابعة تفاصيل الجولة الأولى من التحقيقات في عمود الجريمة المحلية".

قبل الدخول.

قال بلعون:

-لدي إحساس قوي بأننا أمام بركان ثائر.

ردت عليه المصورة آي متضرعة:

-سترك يا رب.

عقب المحقق بريسكو:

-لندخل ونرَ.

فتحت الآنسة رشا ذات الشعر الأحمر اللامع الباب. وما إن رأتهم يخطون خطوتهم الأولى نحو الداخل، حتى تحولت من أنثى هادئة إلى أنثى هائجة.

سألتها آي:

-كيف حالك يا آنسة رشا؟

-اخرجي أيتها العاهرة المتفلسفة.

-أنا عاهرة؟

-نعم، أنت.

تغيرت ملامح آي في الحال، واكتست بالكآبة، فلم تعد تقوى على الحركة أو الكلام، لقد شُلَّت إرادتها تماماً أمام هذه الوقاحة المتعجرفة.

تدخل المساعد بلعون سريعاً لاحتواء الموقف وحفظ ماء الوجه قائلاً:

-لا تقولي ذلك يا ابنتي.

أجابته، وهي ترتجف حنقاً:

-لستُ ابنتك أيها اللوطي اللعين.

-أنا لوطي؟

-ومن غيرك؟

-سامحكِ الله.

أصابت بلعون خيبة أمل وصدمة مفاجئة في اللحظة ذاتها، وهنا تدخل المحقق بريسكو قائلاً بنبرة هادئة:

-عيب يا آنسة رشا.

التفتت إليه، وصرخت:

-اسكت أيها الأصلع القذر.

ردّ بريسكو بدهشة:

-أهكذا تقولين عني؟

-نعم، أنت عارٌ على البشرية جمعاء، لأنك رجل بوهيمي وغير واقعي.

ثم التفتت إلى الداخل وصرخت بأعلى صوتها قائلة:

-يا فريد الزفت. تعال واطرد هؤلاء القرود.

جاء السائق فريد على عجل، وكانت في أثره الخادمة الجميلة حنان، إلا أنهما وقفا عاجزين لا يعرفان كيفية التصرف حيال هذا الموقف العصيب.

فقال السائق فريد مهدئاً:

-اهدئي يا سيدتي.

-اخرس. قطع الله لسانك أيها الجبان الحقير.

لم يصلوا معها إلى أي اتفاق أو حل، ثم بدأت رشا في نوبة بكاء هيسترية حادة. وفي مثل هذه الحالات العسيرة، كان المحقق بريسكو يزداد شحوباً وتوقداً في الذكاء، بينما تكتسب عيناه بريقاً لامعاً.

التفت إليها المحقق بريسكو، وقال:

-اسمعي يا آنسة رشا، لقد تحققنا قبل قليل من البنك الذي كانت المرحومة والدتك تتعامل معه، وتبين لنا أن لها رصيداً ضخماً لديهم.

هدأت ثائرتها فوراً، وتحولت إلى شخصية أخرى تماماً غير تلك التي عليها قبل قليل.

سألت الآنسة رشا بهدوء حذر:

-ماذا تقول؟

أجابتها آي:

-نعم، كما يقول تماماً. ما زال لديها حساب جارٍ في البنك الذي تتعامل معه.

قالت رشا، وهي ترحب بهم:

-أنا آسفة حقاً.

ثم تابعت:

-أهلاً بكم، تفضلوا رجاءً إلى غرفة المعيشة.

لبّوا دعوتها ودخلوا، فاستقبلتهم رشا بابتسامة عريضة وسألتهم:

-ماذا تشربون؟

أجابوا:

-لا شيء، شكراً لكِ.

بادرها المحقق المساعد بلعون قائلاً:

-في الواقع، لقد جئنا لنستمع إلى أقوالكِ.

أجابت رشا:

-أنا جاهزة.

-أين كنتِ وقت وقوع الجريمة؟

-عند صديقتي مصففة الشعر.

-هل تشكين في السائق فريد؟

-قطعاً.

-هل هو القاتل؟

-هذا مستحيل.

-ما السبب؟

-لأنني كنت معه طوال الوقت، كما أنه يعمل لدينا منذ مدة طويلة.

هنا تدخلت المصورة آي قائلة:

-هل كنتِ تحبين أمكِ؟

أجابتها بامتعاض:

-ومن منا لا يحب أمه؟

-هل كانت بينكما أي مشاكل أو خلافات؟

-لا.

-ألم تبخل عليكِ بالمصروف؟

أجابت رشا بِزفرة:

-لم تحرمني من أي شيء تمنيتُه.

سألها المحقق بريسكو:

-هل كان أبوكِ كريماً معكِ؟

-أبي من النوع البخيل.

-بالنسبة إليكِ وحدكِ أم مع الآخرين أيضاً؟

-يمكن اعتباره حالة عامة.

تدخّل المساعد بلعون سائلاً:

-يا آنسة رشا، هل كان أبواكِ زوجين متآلفين؟

ردَّت رشا باستهتار شديد:

-بل قل: إنه زير نساء حقيقي. ثم تابعت متسائلة:

-أين الألفة؟

-أنتِ على حق.

وقف بلعون في مكانه قائلاً:

-سنكتفي بهذا القدر، يمكننا الانصراف الآن.

-على الرحب والسعة.

عند عتبة الباب الرئيسي، اقتربت الآنسة رشا-ابنة السيد نوري الواو صاحب المنزل- من المحقق بريسكو، الذي كان مشغولاً بتدوين ملاحظة في دفتره الصغير، وهمست في أذنه قائلةً:

-لقد سمعت أبي، قبل مقتل والدتي المرحومة بيوم، وأنا أمر برفقة السائق فريد من أمام باب المطبخ، وهو يوبخ الخادمة حنان، ويطلب منها التخلص من مجموعة السكاكين غير الحادة لأنها لم تعد صالحة للاستعمال.

سألها المحقق بريسكو:

-وهل يشهد السائق على هذا الحديث؟

-لمَ لا؟

-هل تعرفين المكان الذي خبّأ فيه أبوكِ والخادمة تلك المجموعة؟

-لا.

بدأت المقابلة بعاصفة من الغضب، حيث صبَّت الآنسة رشا جام غضبها المستعر على رأس فريق التحقيقات الخاصة بكلمات حادة

وجارحة، إلا أن الفريق نجح في مسايرتها وامتصاص غضبها حتى لانت واستعادت هدوءها، وبدأت تتعامل معهم بمرونة وفاعلية. وقبل أن يغادروا المكان قالت:

-لدي شيء أهم من ذلك، يا سيد بريسكو.

سألها ممتعضاً:

-ما هو؟

أجابته بنبرة واثقة:

-هناك مشروع زواج قريب يلوحُ في الأفق.

-بين من؟

-بين أبي والخادمة.

-هل أنت متأكدة؟

فردت بحسم:

-بكل تأكيد.

***

10

العدد (4009) من جريدة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الثلاثاء 13 يناير. فتحتُ صفحة الجرائم العالمية بحثاً عن قصة مثيرة كسابِقاتها، لكنني صُدمت بغياب القصص في هذا العدد، ليحل محلها تقرير جاف يصنف جرائم القتل ويفكك دوافعها.

في عالم الجريمة، تختلف العقوبات وتتعدد المصائر بناءً على ثلاثة مسارات قانونية: القتل العمد حيث تتوافر النية القاتلة في لحظة خاطفة، والقتل مع سبق الإصرار والترصد وهو الأخطر، إذ ينسج الجاني شباكه بدم بارد ويتعقب ضحيته بانتظار اللحظة الحاسمة، وأخيراً القتل الخطأ الناتج عن طيش أو إهمال يودي بحياة بريء دون نية مسبقة.

"أما خلف الكواليس، فتتراقص دمى الجريمة على إيقاع أربعة محركات مظلمة: فتعصف الخلافات العائلية بسلام الجدران المغلقة لتنفجر عنفاً منزلياً دامياً، وتُغيّب السموم والمخدرات عقول البشر لتوقظ فيهم وحشيةً عمياء، وتستعر الأطماع المادية لتُترجم إلى

عمليات سطو وسلب. غير أن الكابوس الأكبر يتجسد في الانفلات الأمني داخل بؤر النزاع، حيث تتهاوى هيبة القانون، وتغدو الصراعات العرقية والطائفية حطباً لجرائم لا تعرف الرحمة.

"متابعة الجولة الثانية من التحقيقات في الجريمة المحلية".

بدأت الجولة الثانية من التحقيقات الخاصة في مقتل المدام رنا، حرم السيد نوري الواو. كان في استقبال الفريق السائق فريد، الذي دعاهم بدوره إلى حديقة الخضروات الخلفية للمنزل، لينعموا بقليل من الاسترخاء، حيث تضفي الخضرة اليانعة والأزهار المتناثرة هناك شعوراً بالراحة والسلام النفسي.

سألت المصورة آي:

-ما الخطوات الأساسية التي تضمن نجاح حديقة الخضروات المنزلية بالدرجة الأولى؟

أجابها فريد بحكم عمله كبستاني وسائق لدى العائلة، ومستنداً إلى الخبرة الطويلة التي اكتسبها على مدار السنوات:

-سر النجاح يكمن في احتواء التربة على المواد المعدنية، وتعرضها المباشر لأشعة الشمس، فضلاً عن اختيار البذور الجيدة، والتخلص من الحشائش الضارة التي تعيق نمو النباتات.

ثم سأله السيد بلعون:

-وما الوقت المناسب للري بحسب خبرتك؟

رد عليه فريد:

-الوقت الأمثل للري هو الصباح الباكر أو عند غروب الشمس، هو الوقت الأنسب للنبات.

عادت آي لتسأل من جديد:

-وما أسرع النباتات نمواً مقارنة بالأصناف الأخرى؟

أجابها البستاني الخبير:

-الخضروات الورقية هي الأسرع نمواً، تأتي بعدها الخضروات الجذرية، وتليها الخضروات التي تنتج الثمار.

وفي نهاية الحديث، استطردت آي قائلة:

-لقد شوقتني لامتلاك حديقة خضروات منزلية يا سيد فريد.

-أنا في الخدمة في أي وقت تشائين يا سيدتي.

-بارك الله فيك.

-وفيكِ بارك الله.

خيم الصمت على المكان إلا صوت طنين البعوض، بينما كان يقف المحققان بريسكو ومساعده بلعون رفقة المصورة آي في حديقة المنزل. تقدم المحقق المساعد بلعون بخطوات واثقة، قاطعاً الصمت بنبرة حازمة:

-دعونا لا نبتعد عن المهمة التي جئنا من أجلها.

التفت إليه السائق فريد، وهو يمسح عرق جبينه، وأجابه بوجل:

-لإكمال التحقيقات؟

ردّ بلعون وعيناه مصوبتان نحو السائق كالصقر الجارح:

-أجل، لإكمال التحقيقات.

حاول فريد رسم ابتسامة باهتة على وجهه لإخفاء توتره، وقال:

-أنا في الخدمة يا سادة.

هنا، تقدم المحقق الرئيس بريسكو، ووجه ضربته الأولى دون مقدمات:

-يتهم السيد نوري ابنته رشا بقتل أمها، ويتهمك أنت بأنك الشخص الذي ساعدها في التنفيذ.

اتسعت حدقة عيني فريد صدمة، وهز رأسه رافضاً بشدة:

-غير صحيح.

سأله بريسكو ببرود:

-كيف؟

قال فريد بنبرة تستعطف المحققين:

-لأنني أحب هذه العائلة التي أعمل لديها منذ مدة طويلة. أعدُّ نفسي واحداً من أفرادها، فكيف تسول لي نفسي أن أفعل هذا الفعل الشنيع؟

تدخل المحقق المساعد بلعون ملوحاً بملف القضية من الأول:

-يا سيد فريد، في المرة الأولى من التحقيقات لم تثبت مكان وجودك وقت وقوع الجريمة، فالأمر ليس في مصلحتك أبداً.

رفع فريد يده مقسماً، وصوته يرتجف:

-أقسم لك، يا سيد بلعون، أنني لم أتحرك من مكاني حتى وقت انتهاء الآنسة رشا من عند صديقتها الكوافيرة.

عقد بلعون حاجبيه وأجابه بصرامة:

-هكذا جواب لا يبرئ ساحتك إذا لم تثبت وجودك بالدليل القاطع.

بدت علامات الارتباك تظهر على السائق، وتلعثم قائلاً:

-هل يعني هذا أنني مدان في نظركم؟

ردَّ بلعون بنبرة قانونية جافة:

-أنت لست مداناً في نظرنا، إنما في نظر القانون والتشريعات.

عاد المحقق بريسكو ليمسك بزمام الحديث، مقترباً خطوة أخرى:

-هناك شيء آخر ضدك في هذه القضية.

-ما هو؟

-الدافع الذي أدى إلى ارتكاب الجريمة.

-الدافع؟

-نعم، الدافع.

-وما هو يا سيد بريسكو؟

أجابه بريسكو وعيناه تتفحصان ردود أفعاله:

-المال، وهو ما أكده لنا السيد نوري. فالآنسة رشا من النوع المبذر، وأنت في حاجة ماسة إلى المال، لذلك اتفقتما من أجل التخلص

من المدام رنا التي ستورث أموالها التي ورثتها عن أبيها الملياردير لابنتها بطبيعة الحال.

احمرّ وجه فريد غضباً، وبدأ يزبد ويرغي ويهتف بانفعال:

-كذب وتضليل. إنه يحاول أن يلصق التهمة الباطلة بي وبالآنسة المسكينة رشا، التي لا دخل لها فيما حدث.

انتهز بلعون فرصة انفعاله، ليلقي بسؤال أكثر خطورة وعمقاً:

-يا سيد فريد، ادعت الآنسة رشا أنها سمعت كلاماً خطيراً وهي تمر بصحبتك أمام باب المطبخ قبل يوم واحد من وقوع الجريمة؛ إذ سمعت أباها يقول للخادمة:

-يجب أن تتخلصي من السكاكين غير الحادة. فهل هذا صحيح؟

-نعم. نعم سمعت.

سأله بلعون مشككاً:

-أليس هذا مجرد انتقام أو مكيدة للسيد نوري، الذي رفض سابقاً أن يعطي ابنته المال الكثير لتلبية رغباتها التي ليست لها نهاية.

أجاب فريد بإصرار:

-لا يا سيدي.

-هل في إمكانك مواجهة السيد نوري بهذا الكلام؟

-مستعد للمواجهة.

-حتى لو اضطر الأمر إلى خسارة وظيفتك.

-نعم.

بادره المحقق بريسكو بسؤال مباغت:

-هل تعرف أين خبأ السيد نوري أداة الجريمة؟

تنهد فريد بأسف، وانحنى يفرغ طاقته المتوترة بنزع بعض الحشائش الضارة التي كانت نابتة تحت قدميه:

-لا أعرف، ولو عرفت لما تقاعست دقيقة واحدة عن الكشف عنها.

في هذه الأثناء، خفضت المصورة آي كاميرتها الرقمية، ووجهت نظرتها الثاقبة نحو السائق، وسألته:

-ما رأيك بالخادمة حنان؟

التفت إليها، وقال بسخط:

-إنها حرباء حقيقية، تتلون بألف لون في كل مرة.

تابعت آي سؤالها:

-إذاً، ترى أنها متورطة بشكل ما مع السيد نوري؟

أجابها دون تردد:

-أرى أنها متورطة تماماً.

تدخل المحقق بريسكو ليلقي سؤالاً في غاية الأهمية:

-هل هناك مشروع زواج بين السيد نوري والخادمة، كما أكدت لنا الآنسة رشا؟

هزّ فريد رأسه مؤكداً بقوة:

- الكلام نفسه قالته لي الخادمة أيضاً.

سأله المحقق بريسكو مستوثقاً لآخر مرة:

-هل أنت واثق من كلامها؟

نظر فريد إلى المحققين بثبات وقال لهم:

- كل الثقة.

يتبع في العدد القادم في صحيفة "القامشلي جليد" حصراً.

***

11

العدد (4010) من صحيفة "القامشلي جليد" الصادرة يوم الأربعاء 14 يناير. حقاً مللتُ من متابعة أخبار الجرائم العالمية، فتقريباً كل الجرائم كانت مُتشابهة في الأعداد السابقة لذا قررت أن أنتقل إلى متابعة أخبار الجريمة المحلية التي يحقق فيها المحقق الخاص آدم بريسكو مع مساعديه: العجوز عليش بلعون، والمصورة آي الكاف.

"متابعة الجريمة المحلية".

كانت خيوط شمس العصر تصطدم بزجاج النوافذ المغبرة لمنزل الضحية، باعثةً في الجو بريقاً كئيباً. وقف المحقق بريسكو عند عتبة الباب الرئيسي يضبط ساعته الجديدة، بينما كانت المصورة آي تنقل حزام كاميرتها الثقيلة من كتف إلى آخر، محاولةً تخفيف العبء عن جسدها المتعب.

قبل أن يمد بريسكو يده ليدق جرس الباب لمتابعة تحقيقات الجولة الثانية، التفتت إليه آي، وقالت بنبرة فضولية:

-هل العجوز بلعون مريض؟

أجابها بريسكو وعيناه تجولان في كل ما يحيط به:

-لا.

-إذاً، أين ذهب؟

-ذهب إلى مديرية الشؤون المدنية.

قطبت حاجبيها متسائلة:

-دائرة النفوس؟

-نعم.

-ولماذا؟

-لاستخراج بيان قيد عائلي.

-له؟

-لا.

-لمن إذاً؟

ابتسم بريسكو بغموض، وقال:

-ستعرفين لاحقاً يا آنسة آي.

لم تقتنع آي بإجابته الضبابية؛ فتابعت بتهكم:

-ألا تلزمه وساطة من أجل ذلك؟

اتسعت ابتسامة المحقق بريسكو، ونظر إليها قائلاً:

-لا تخافي على العجوز من هذه الناحية.

-من أي ناحية يا سيد بريسكو؟

-من ناحية الوساطة، فله صلة وثيقة مع المحقق الجنائي المساعد أبي حشيش.

شهقت آي بخفة، وقالت:

-أبو حشيش؟

-هو بعينه.

توقفت آي عن الحركة تماماً، وبادلت المحقق نظرة محملة بالشكوك، ثم سألت:

-وطبعاً، هناك مقابل مادي لكل هذا؟

هز بريسكو رأسه بيأس:

-كل شيء له ثمن عند أبي حشيش، لا شيء بالمجان على الإطلاق.

لوت آي فمها باحتقار:

-إنه رجل طماع.

علق بريسكو وهو يخطو خطوة نحو الباب:

-يمكن اعتباره أكثر من طماع بمليون مرة.

بدلت آي حقيبة التصوير من كتف إلى كتف آخر مجدداً، وكأنها تحاول تفريغ غضبها في الحقيبة، ثم قالت:

-لم نرَ أبا حشيش وفريقه إلا مرة واحدة، كما أتذكر، في اليوم الأول من وقوع الجريمة. أين يختفي؟

أجابها المحقق بريسكو بصوت منخفض:

-نحاول تجنبه.

-لماذا نتجنبه؟

-كلما التقينا به يطلب المال علناً.

صمتت آي ثوانيَ وهي تستوعب الأمر، ثم سألت بنبرة قلقة:

-هل ستعطيه حصة من الأجر المتفق عليه مع السيد نوري الواو؟

-نعم. وسيكسب هو أيضاً السبق الصحفي للإعلان عن إلقاء القبض على الجاني أمام شاشات التلفزة.

حلّت فترة صمت ثقيلة بينهما، لم يكن يُسمع فيها سوى طنين البعوض في المكان لقربه من المستنقع. كسرَت آي هذا الصمت قائلة بنبرة تقطر اشمئزازاً:

-كم أكرهه.

التفت إليها بريسكو، ورمقها بنظرة ذات معنى قبل أن يقول:

-كنتِ تعملين سابقاً معه، أليس كذلك؟

هزت رأسها متأسفة، ونظرت إلى الأرض بغصة قائلة:

-يا للأسف، نعم.

وأخيراً طرق بريسكو الباب ثلاث طرقات متزنة، ففتحت الخادمة حنان الباب ببطء. لم يكن في المنزل الواسع أحد سواها. قادتها بخطوات هادئة نحو المطبخ، حيث كانت رائحة القهوة المرة تفوح في الأرجاء.

جلس المحققان حول الطاولة الكبيرة. أدار بريسكو نظراته الحادة نحو حنان، كانت هذه الجولة الثانية لاستجوابها، لكن شيئاً ما كان غريباً ومريباً للغاية. في المرة الأولى، كانت حنان ترتجف، تتلعثم، تضرب قدميها بأرجل الطاولة والكراسي، وتبكي ذعراً عند أخذ إفادتها، أما الآن، فهي هادئة تماماً، ملامحها باردة كشفرة حلاق، وعيناها ثابتتان لا ترمشان، وكأنها تلقت درساً احترافياً في كيفية إخفاء الحقيقة.

كانت الخادمة حنان تجلس واجمة عند طرف طاولة المطبخ، حين بادرتها المصورة آي بنبرة هادئة ولكن حازمة:

-موقفكِ معقد للغاية يا آنسة حنان. هناك عدة اتهامات تحوم حولكِ.

-مثل؟

اقتحم المحقق بريسكو الحوار كالعادة:

-مثل عجزكِ عن إثبات مكانك وقت وقوع الجريمة.

-يا سيد بريسكو، ألم أقل لكم إنني كنت في ذلك التوقيت ما بين الثامنة والربع والثامنة وخمس وأربعين دقيقة في طريق العودة إلى منزل عمتي التي أسكن معها؟

-عذر غير مقبول يا آنسة حنان.

أرجعت الخادمة كرسيها قليلاً نحو الخلف، وقالت بنبرة مضطربة:

-هل تتهمني بقتل المدام رنا؟

أجابتها المحققة آي محاولة مواساتها:

-لا نتهمكِ بالقتل، إنما نريد معرفة الحقيقة وبعض التفاصيل التي تتعلق بالجريمة.

-لقد قلت لكم كل ما عندي في الجولة الأولى من التحقيقات، وليس عندي ما أضيفه الآن.

-ليس كافياً.

-إن لم يكن كافياً، فهذا ذنبكم.

أزاح المحقق بريسكو مقعده ونهض واقفاً أمام طاولة المطبخ. نظر إليها بحدة، ثم ألقى السؤال الاتهامي كقذيفة:

-آنستي الجميلة، ثمة شائعات تدور في الخفاء، تفوح منها رائحة اتهامك بقتل المدام، طمعاً في الاستيلاء على مجوهراتها التي اختفت من خزانة ملابسها فور وقوع الجريمة. ما مدى دقة هذا الكلام؟

أجابته الخادمة بصوت مرتجف يفضحه التوتر:

-هذا كلام عارٍ من الصحة تماماً. أرى أن من نقل إليكم هذا الحديث يحاول تبرئة نفسه، وإلقاء التهمة جزافاً عليّ. إنهم بحاجة إلى تلك المجوهرات المسروقة أكثر مني بكثير.

عقد المحقق بريسكو حاجبيه، وسألها:

-وهل يمكنكِ الإشارة إلى أسمائهم صراحة؟

نظرت إليه بتحدٍّ، وقالت:

-أنت تعرفهم جيداً، يا سيد بريسكو، فلا داعي لإثارة هذه المسألة الآن.

ابتسم المحقق بريسكو باقتضاب، وتمتم:

-كلام سليم ومنطقي جداً.

جلس بريسكو مجدداً أمام طاولة المطبخ، لكنه ألقى هذه المرة بسؤال كان كقنبلة موقوتة بالنسبة إلى الخادمة حنان، التي لم تكن تتوقعه أبداً، إذ قال لها:

-هل صحيحٌ أن السيد نوري الواو عرض عليكِ الزواج؟

أجابته الخادمة بنبرة مرتعشة:

-لا.

جاء السؤال التالي أكثر خطورة من سابقه، عندما سألها بريسكو بلا رحمة:

-هل تنفين أيضاً ما قاله لكِ السيد نونو في المطبخ، قبل يوم واحد من مقتل زوجته رنا: "يجب أن تتخلصي من السكاكين غير الحادة"؟

قالت حنان، وهي ترتجف بالكامل:

-من الذي قال لك هذا؟

تدخلت آي قائلة:

-هل هذا صحيح يا آنسة حنان؟

-أريد أن أعرف من الذي أخبركم.

-إنه غير مهم الآن.

كانت علامات الخوف والفزع جلية على ملامح الخادمة. لم تشأ ملاحقة معرفة من وشى بها، فكل ما أرادته هو كسب المزيد من الوقت لاستشفاف نوايا المحققين. هل عرفوا الحقيقة حقاً؟ أم أنهم

يمارسون معها لعبة القط والفأر للإيقاع بها، وانتزاع ما بحوزتها من معلومات؟

سألها المحقق بريسكو بنبرة حازمة:

-آنسة حنان، إن لم تُقري وتعترفي بالحقيقة، يؤسفني القول إنكِ المشتبه به الرئيس في ارتكاب هذه الجريمة.

أجابت الخادمة حنان بوجه شاحب وعينين زائغتين:

-سأعترف بكل شيء يا سيد بريسكو.

سألها بريسكو بنبرة انتصار، بعد معاناة طويلة في انتزاع الاعترافات:

-هل كانت هناك خلافات بين السيد نوري وزوجته القتيلة؟

ترددت الخادمة حنان للحظة، ثم ردت بتنهيدة حملت اتهاماً مبطناً:

-أنا كنت جزءاً من تلك الخلافات.

ثم أضافت بمرارة:

-لكن الجزء الأكبر كان بسبب الآنسة رشا.

عقّب بريسكو:

-أفهم من ذلك أن السبب هو قائمة طلباتها التي لا تنتهي؟

أجابت بحسم:

-بالضبط.

كانت المصورة آي تعبثُ بأزرار كاميرتها الرقمية وهي غارقة في أفكارها، ثم التفتت نحو الخادمة الحسناء، وسألتها:

-هل وجَّه إليكِ السيد نونو أي إيحاءات جنسية؟

-نعم.

-كم مرة؟

-أكثر من مرة.

-متى طلب منكِ الزواج؟ أقبل وقوع جريمة القتل أم بعدها؟

-بعدها.

-وهل وافقتِ على الزواج؟

-لا.

-لماذا لم توافقي؟

أجابتها الخادمة:

-لأنه أكبر مني بثلاثين عاماً تقريباً.

-ألم تستغليه مادياً؟

-أحياناً.

تنحنحت الخادمة معتذرة لتنهض متوجهة نحو صنبور المطبخ، فقد كانت تشعر بجفاف حاد في حلقها، ورعب شديد ينهش صدرها على مستقبلها الذي تخيلته في غاية القتامة. رأت نفسها في نهاية المطاف قابعة في سجن بارد، خلف قضبان صامتة لا حياة فيها.

في هذه الأثناء، وجه إليها المحقق بريسكو سؤاله الذي عده كالضربة القاضية، لينهي به الجولة الثانية من التحقيقات المنهكة مع

الخادمة حنان، تلك المرأة الماكرة التي تتلون كالحرباء، وكان ذلك بحضور مساعدته المصورة آي الكاف:

-آنسة حنان؟

-نعم يا سيد بريسكو.

-هل صحيح ما قاله السيد نوري الواو إنه قبل وقوع الجريمة بيوم واحد، طلب منكِ التخلص من جميع سكاكين المطبخ غير الصالحة للاستعمال المنزلي، والتي كانت مخبأة في أحد الأدراج التي تترددين عليها كل يوم؟

-صحيح يا سيد بريسكو.

-وأين أخفيتها؟

-أنا لم أخفِ شيئاً. السيد نوري هو من أخفاها.

-ألا تعلمين المكان الذي خبأ فيه السيد نوري أداة الجريمة؟

أقسمت الخادمة بشبابها وبقبر والديها الراحلين، ثم انفجرت باكية بحرقة وهي تقول:

-لستُ على علم بمكانها، أقسم لك.

كان هذا هو السؤال الأخير، ثم غادر المحققان المنزل وهما يشعران باطمئنان نسبي تجاه براءة الخادمة من التهمة التي نسبت إليها، على أن يعودا غداً في التوقيت نفسه لاستكمال التحقيقات مع السيد نوري الواو، الذي بات الآن المشتبه به الرئيس والأقوى في ارتكاب تلك الجريمة المروعة بحق زوجته رنا.

"يتبع في العدد القادم".

***

12

العدد (4011) من صحيفة "القامشلي جليد"، الصادرة يوم الخميس 15 يناير، سيكون هو العدد الأخير.

إذا ما تم القبض على الجاني في قضية الجريمة المحلية، سأعود فوراً إلى منزلي.

لقد مللتُ الهرب، وسأتابع حياتي الاعتيادية. لم يعد يهمني مطلقاً متابعة عمود الجرائم العالمية، يجب أن أنتقل الآن إلى عمود الجريمة المحلية.

كان الوقت بعد الظهر عندما وصل المحقق بريسكو، بصحبة مساعدته المصورة آي، لمتابعة الجولة الثانية من التحقيقات في ذلك المنزل الغامض الذي يقع قرب المستنقع المائي في حي القامشلي الجديد.

فتح السيد نوري الباب، وكان وجهه يحمل هدوءاً مريباً لا يناسب أجواء الجريمة. نظر إلى ضيفيه، وقال بصوت خفيض:

-أهلاً بكم.

ردت عليه المصورة آي وهي تتفحص ردهة المنزل بنظراتها الثاقبة:

-أهلاً بك، يا سيد نوري. كيف الحال؟

أجاب وعيناه تتهربان من مواجهتها:

-بخير، والحمد لله.

ثم أشار بيده نحو الداخل، داعياً إياهما إلى غرفة المعيشة التي كانت تفوح منها رائحة التوتر. تفقد السيد نوري الوجوه الحاضرة، ثم سأل بفضول لم يفلح في إخفائه:

-أين العجوز بلعون؟

أجابته آي وهي تضع حقيبة كاميرتها جانباً:

-لديه بعض العمل لينهيه.

انعقد حاجباه وقال:

-هكذا إذاً.

-نعم.

لم تضيّع آي الوقت، بل بادرت بسؤال كسر الصمت الثقيل:

-هل الآنسة رشا في البيت؟

هزّ نوري رأسه بأسف مصطنع:

-لا، إنها لا تجلس في البيت أبداً. لقد خرجت مع السائق فريد.

سألته المحققة آي بوجوم:

-هل أنت بمفردك هنا؟

أجاب وهو يشعل سيجارة بلمسة ارتباك بعدما رفض المحققان تدخين السجائر:

-الخادمة حنان تعمل في المطبخ.

ساد صمت لفترة، قبل أن يطلق سحابة دُخانٍ كثيفة نحو سقف الغرفة ويلقي بقنبلته الموقوتة:

-لا أستبعد أن تكون ابنتي رشا متورطة مع السائق في قتل أمها.

تحرك المحقق بريسكو في مقعده، وضاقت عيناه الذكيتان وهو يثبت نظراته الحادة على الزوج المكلوم. وسأله بنبرة جليدية:

-وما الذي يدفعك إلى هذا الاعتقاد المشؤوم؟

كرر السيد نوري السؤال بآلية، كمن يلقن نفسه نصاً محفوظاً:

-الذي يدفعني إلى هذا الاعتقاد؟

-نعم، أنصت إليك.

تنهد نوري وقال:

-في صباح اليوم، خرجت ابنتي عن طورها وأصبحت حادة المزاج بشكل جنوني. قامت بكسر مزهرية فخارية من النوع الفخم غالي الثمن.

سأله بريسكو وهو يدون ملحوظة في دفتره الصغير:

-وما السبب وراء هذه الثورة العنيفة؟

أجاب نوري بنبرة حانقة:

-السبب أنها تطلب المال في كل لحظة، غفر الله لأمها التي علمتها، وقد رفضت أن أعطيها هذا اليوم.

هنا، لم تستطع المصورة آي كبح جماح غضبها، فاندفعت قائلة بنبرة مخنوقة:

-أليس لها الحق في أن تطلب منك؟ وتابعت، ألست أباها؟

-بالطبع، أنا أبوها.

-هل تريدها أن تمد يدها للغرباء تستجدي الإحسان، أم تريدها أن ترتكب عملاً طائشاً لتأمين مأربها؟

ردَّ السيد نوري كمن عثر على كنزٍ لا يقدر بثمن:

-ألم أقل لكم: إن ابنتي وراء قتل أمها؟ وتابع: إنها في سبيل الحصول على بغيتها مستعدة للتحالف مع الشيطان نفسه.

نظرت إليه المحققة الجديدة آي بذهول واستنكار مستفسرة:

-إلى هذه الدرجة قسوتك وظنك بها؟

رد عليها السيد نوري بثقة مطلقة صدمت المحققين:

-إلى هذه الدرجة وأكثر.

في هذه اللحظة، ركن المحقق بريسكو ظهره إلى الخلف، وشبك أصابعه القوية ببرود قاتل، ثم تدخل قائلاً بصوت هز أركان غرفة المعيشة:

-يا سيد نوري. إن الدافع الذي ارتكبت من أجله الجريمة مختلف تماماً عما تظن.

انتفض السيد نوري كمن لدغته عقرب، وسأل بنبرة حرجة:

-إلى أي دافع تشير يا سيد بريسكو؟!

أجابه بريسكو وعيناه الذكيتان لا ترمشان:

-إن الفعل الذي أتاه الجاني خلف جريمته كان مشحوناً بغلٍّ غريب. لقد ارتكب جريمته بدافع الانتقام الخالص. وأفرغ حقداً مميتاً في صدر ضحيته، ولم يكتفِ، بل قام ليشفي غليله بقطع حلمتيها وتركهما داخل أحد أدراج المطبخ.

ساد الغرفة صمت رهيب كصمت القبور. وفي ثوانٍ معدودة، استحال لون السيد نوري شاحباً كشحوب الموتى، وبرزت حبات عرق لؤلؤية باردة على جبهته:

سأل السيد نوري بصوت مرتعش ومذهول، محاولاً استجماع شتات نفسه:

-ولكن، إذا كان الدافع هو الانتقام-كما تقول- فلماذا سرق علبة المجوهرات من خزانة الملابس؟

ابتسم المحقق بريسكو ابتسامة غامضة، تنم عن ذكاء حاد، وقال:

-نقطة مهمة جداً يا سيد نوري، ويجب أن نقف عندها قليلاً،

ثم أردف وهو يقف ويسير ببطء في الغرفة:

-بعد أن فرغ الجاني من عملية القتل البشعة، سرق المجوهرات لسبب واحد، ليشتت أذهان المحققين، ويضلل فريق البحث فيظن الجميع أن الجريمة ارتكبت بدافع السرقة والمال، وليس

الانتقام الشخصي. وبرأيي، هذا العمل يمثل منتهى الحصافة من القاتل، خطوة شيطانية أراد بها دفع القضية نحو حائط مسدود. يبدو أنه أخطأ في تقدير عبقرية المحقق الخاص آدم بريسكو وفريقه.

خيّم الصمت الثقيل ثانية على غرفة المعيشة، صمتٌ يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة. كانت الأجواء مشحونة بلعبة ذكاء، شد وجذب، ومد وجزر، بين المحقق المخضرم بريسكو ومساعدته الرشيقة آي من جهة، والسيد نوري الواو صاحب المنزل من جهة أخرى. كان الجميع يدرك أن لحظة الحقيقة قد اقتربت.

كسر السيد نوري هذا الجمود قائلاً بنبرة محتدة:

-افهموا يا سادة. ليس لدي أعداء، وكنت أحب زوجتي الراحلة. أما أداة الجريمة، فقد كانت مجرد أداة من أدوات مطبخنا.

التقطت المحققة آي طرف الخيط فوراً، وسألته:

-ماذا تقصد تحديداً بمحتويات مطبخكم؟

-أقصد أن ابنتي رشا هي من خططت، والسائق هو من نفذ الجريمة بكل احترافية.

-وما الدليل الذي يثبت هذا الاتهام الخطير؟

أجابها السيد نوري بحدة وعصبية:

-ابحثوا عنه. ستجدونه حتماً إن كنتم بارعين.

نظرت إليه آي بهدوء، وقالت:

-يا سيد نوري.

-نعم؟

-الآنسة رشا والسائق بريئان من تهمة قتل المدام رنا، حرم سيادتكم.

انتفض نوري من مكانه وقال غاضباً:

-هراء. كلام فارغ وغير دقيق، لا أصدق ما تقولينه.

-بل ستصدق.

هنا، تدخل المحقق بريسكو الذي زعزع هدوء الغرفة بسؤاله:

-أنا لا أستبعد الخادمة حنان من تهمة قتل سيدتها. ما رأيكم؟

سقطت الكلمات على السيد نوري كصعقة كهربائية حولت ثباته إلى رماد. تراجع خطوة إلى الوراء، ثم اندفع يدافع عنها باستماتة وعزم:

-لا.. لا يا سيد بريسكو. لم أتوقع منك هذا الإثم والعدوان. حرامٌ عليك أن تتهم تلك العصفورة البريئة بقتل امرأة بتلك الطريقة الوحشية.

ثم أردف:

-كيف تتصور أن آنسة رقيقة، ناعمة وهشة، يمكنها القيام بهذا العمل المروع؟

ابتسمت آي ابتسامة غامضة وقالت:

-لقد صدقناك الآن يا سيد نوري. الخادمة حنان بريئة بالفعل من دم سيدتها.

تنفس نوري الصعداء، وعاد إلى مقعده مسترخياً، وقال:

-هذا هو الصواب، وهذا ما أراه.

ثم اعتدل في جلسته وتابع بتحدٍ:

-ولكن، هل عرفتم من القاتل الحقيقي؟

اتسعت ابتسامة آي، وقالت بنبرة حاسمة:

-نعم، لقد عرفناه.

سألها السيد نوري بإصرار وعيناه تملؤهما الريبة:

-من هو؟

أجابته آي ببرود أعصاب قاتل:

-أنت.

تجمدت الدماء في عروق الرجل، وتلعثم قائلاً بعد صمت مرير:

-أنا القاتل؟ كيف؟

لم يمنحه المحقق بريسكو فرصة للمناورة، فتدخل بسرعة واتخذ صوته نبرة حازمة كحد السيف:

-من الأفضل أن تعترف الآن يا سيد نوري، فلا مجال للإنكار بعد اليوم. لقد عرفنا عنك كل شيء.

انهارت حصون السيد نوري تماماً، سقط رأسه بين كفيه، ووضع ذقنه غير الحليقة بين راحتيه ينظر إلى الأرض بهزيمة ساحقة، ثم قال بصوت مكسور وإرادة مقهورة:

-لا داعي للأسئلة يا سيد بريسكو العظيم. دعني أروي لك كل شيء بنفسي.

نظر إليه المحقق الداهية بريسكو بنظرة انتصار، وقال:

-تفضل. الكلمة لك.

كانت الأضواء الخافتة في غرفة التحقيق تضفي ظلالاً ثقيلة على وجه السيد نوري المنكسر. جلس هناك، مستسلماً لمصيره، وبدأ يسرد تفاصيل جريمته للمحقق العبقري بريسكو بصوت ذليل يحمل نبرة الاعتراف الأخير.

-كل شيء بدأ من حنان. الخادمة التي سحرتني بجمالها الباهر. تحول حُبي لها إلى هوس، أصبحتْ بالنسبة إلي كالشجرة للبلبل، ذاك لا يمكنه التغريد، وأنا لا يمكنني العيش من دونها. تخيلت مراراً أنها لو غادرت المنزل سأجن أو أموت في أرضي. لكن زوجتي، رنا، لاحظت تلك الشرارة بيننا، حاولت إفشال العلاقة وطردها، فكنت أقف في وجهها بضراوة لتبقى حنان قريبة مني، ومع تصاعد حدة النزاع، أدركت أنه لم يعد أمامي سوى خيار واحد التخلص من رنا نهائياً.

رسمت الخطة بدقة. اخترت الساعة الثامنة والربع مساءً، وهو التوقيت اليومي الذي تخرج فيه ابنتي رشا مع سائق العائلة للتجول والتسوق. أصبح البيت خالياً، والمسرح مهيأً.

كانت رنا تجلس في المطبخ، ترتشف كوباً من الشاي الساخن والبخار يتصاعد منه في الهواء. دخلتُ بخطوات متسللة. لم تتوقع وجودي، ففي هذا الوقت يُفترض أن أكون غارقاً في إدارة مطعمي. تقدمت نحو درج المطبخ، وسحبت سكيناً حاداً كشفرة الحلاقة.

مشيت نحوها ببطء وثقل، التفتت رنا، ولم تكن قد أكملت نصف كوبها. عندما رأت نصل السكين اللامع مرفوعاً نحو صدرها، جفلت، واحتلت وجهها صدمة جامدة، من شدة الذهول والدهشة، لم تبدِ أي حركة أو أدنى مقاومة. وبغلٍّ وحقد أعمى، وجهت إليها أربع أو خمس طعنات قاتلة استقرت في قلبها، نبع الحياة، أسلمت الروح خلال دقائق معدودة من دون أن تنطق بكلمة. تأكدت من مفارقتها للحياة، وبدأ سباقي مع الزمن. جمعت السكاكين كلها، وفتحت باب المطبخ المطل على حديقة الخضروات الخلفية. حفرت حفرة صغيرة غير عميقة قرب السياج الحديدي، دفنت فيها أداة الجريمة والمجموعة كاملة وطمرتها بالتراب. ركضت إلى الحمام، نزعت ثيابي الملطخة بالدماء، وضعتها في كيس أسود، وارتديت ملابس نظيفة. انطلقت بأقصى سرعة نحو المطعم، وفي طريقي، ألقيت الكيس في إحدى حاويات القمامة المنتشرة على طول الرصيف.

كنت أظنها الجريمة الكاملة. لكنني ارتكبت خطأً واحداً قاتلاً.

توقف نوري عن الحديث، ورفع عينيه الغائمتين بالدموع نحو المحقق بريسكو وأضاف بنبرة محطمة بالكامل:

-قبل الجريمة بيوم واحد، كنت واقفاً مع حنان في المطبخ نتباحث حول كيفية التخلص من مجموعة السكاكين غير النافعة. في تلك اللحظة شاء القدر أن تمر ابنتي رشا بالمصادفة مع السائق أمام الباب. وسمعا كل شيء. هذا ما لدي يا سيد بريسكو، وأنا طوع أمركم.

ساد الصمت الغرفة لبرهة مع الظلال المستمرة. أطلق المحقق بريسكو زفيراً طويلاً، قبل أن ينظر إلى القاتل بعينين باردتين وخبيرتين.

ردَّ بريسكو بصوت رصين:

-نحن متأسفون جداً يا سيد نوري، ولكن القانون هو القانون. الغفلة لثانية واحدة تهدم أذكى الخطط.

أخرج بريسكو موبايله، وضغط عدة أزرار وهو يتابع بنظرات حاسمة:

-سأتصل الآن بالمحقق الجنائي أبي حشيش ليستلم القضية، ويتولى باقي المهمة.

ومع وضع الموبايل في جيبه، أُسدل الستار، وأغلقت القضية المحلية عند هذا الحد.

***

13

بعد مرور أسبوع في مدخل طريق فرعي مهجور، انطفأت مصابيح الحافلة الصغيرة التي اتخذها فريق التحقيقات الخاصة مقراً لها. كان الهواء داخل العربة مشحوناً بالترقب، فالاجتماع لم يعد مجرد إجراء روتيني، بل ضرورة قصوى لربط الخيوط المبعثرة.

في المقعد الخلفي، كانت المصورة آي تنظر إلى المشهد بانتصار زائف. رفعت كاميرتها الاحترافية، ووجهت العدسة نحوهم قائلة بنبرة مبتهجة:

-هيا استعدوا جميعاً. سنلتقط صورة جماعية لتوثيق لحظة النصر.

تعالت ضحكة خافتة وساخرة من المحقق المساعد العجوز بلعون، وهو يهز رأسه:

-مهلاً يا آي. لم نسدل الستار على هذه القضية بعد.

تصلبت ابتسامتها، وأنزلت الكاميرا ببطء قائلة بتعجب:

-لم ننتهِ بعد؟ كيف هذا؟ لقد قُبض على نوري الواو.

أجابها العجوز بنبرة غامضة:

-لا، الأمر أعقد من ذلك.

تدخل المحقق الرئيسي آدم بريسكو ليحسم الجدل:

-الآن سنضع جميع الأوراق أمامنا، التفاصيل بين أيدينا ستغير مجرى كل شيء بعد قليل. لنبدأ معك يا سيد بلعون. ما الذي جلبته لنا من دائرة النفوس؟

اعتدل العجوز في جلسته على كرسي العربة، وأخرج وثيقة رسمية مجعدة من معطفه، ثم قال:

-لقد استخرجت بيان القيد العائلي للمدعو نوري الواو. المفاجأة هي وجود اسم آخر مُسجل في دفتر العائلة.

انحنت آي للأمام بدافع الفضول وقالت:

-ولد آخر؟ غير الآنسة رشا؟

أجابها بلعون:

-نجل يُدعى رشيد، يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً.

-وأين كان؟

سعل العجوز سُعالاً جافاً، وأشاح بنظره قائلاً:

-لم نكن نعلم.

هنا تدخل المحقق بريسكو:

-لقد تواصلت مع أبي حشيش. وأكد لي أن لديهم بلاغاً رسمياً قديماً من العائلة منذ سنة كاملة، يفيد باختفاء ابنهم رشيد. خرج ولم يعد.

ابتسمت آي بسخرية تخفي وراءها حقداً، وقالت:

-وكالعادة أبو حشيش لا يقدم معلومة دون مقابل مادي، أليس كذلك؟

ردَّ العجوز متهكماً:

-الرجل يبيع الهواء إن استطاع، لا شيء عنده بالمجان.

وضعت آي كاميرتها على المقعد المجاور بعناية. أدركت أن القضية بدأت تتشابك للتو. التفتت نحو المحقق الرئيسي وسألت بجدية:

-وماذا في جعبتك يا سيد بريسكو؟ نعلم أنك تخفي شيئاً.

لمع بريق حاد في عيني بريسكو وقال بثقة:

-لقد عثرت على دليل بيولوجي في مسرح الجريمة.

نفد صبرها فحثته قائلة:

-تكلم، يا سيد بريسكو، ماذا وجدت؟

-عندما عاينت الجثة وحيداً، وقبل وصول فريق الأدلة الجنائية، لمحت بعوضة ممتلئة بالدم كانت واقفة على جبهة الضحية. التقطتها بحذر بواسطة ملقط صغير، ووضعتها في أنبوب العينات. وفور انتهائي من إيصالكم إلى أماكن إقامتكم أنت والعجوز، توجهت مباشرة إلى المختبر الجنائي لتحليل الدم الذي امتصته تلك البعوضة.

شهقت آي من الصدمة وسألته بذهول:

-من أين جاءت البعوضة؟

فكر بريسكو للحظة قائلاً:

-وجود مستنقع مائي قريب من المنزل بالإضافة إلى حديقة الخضروات الخلفية أمران كافيان لأن يكون المكان مرتعاً للبعوض.

عقب العجوز:

-استنتاج عبقري.

سألت آي:

-اتضح الأمر الآن. البعوضة التي كانت على جبهة الضحية، كانت تحتوي على عينة من دم الجاني.

-أحسنتِ يا آي.

-لكن كيف عرفت زمر دم بقية أفراد المنزل الآخرين لتقارنها؟

ابتسم بريسكو ابتسامة نصر، وقال:

-وهل هناك غير صديقنا المشترك أبو حشيش ليزودنا بملفاتهم الطبية؟

علقت آي:

-وبالمقابل المادي المعتاد. أليس كذلك؟

أمسكت المصورة آي الكاميرا مجدداً، ونظرت عبر عدستها إلى بريسكو.

أغلق بريسكو ملف القضية بقوة قائلاً:

-انتظري قليلاً يا آي. دعيني أربط هذه الخيوط ببعضها أولاً، لنصل إلى القاتل.

-تفضل.

-عندما اكتشفنا اختلاف الزمر الدموية، أدركنا فوراً أن القاتل يقع خارج دائرة الأشخاص الأربعة الموجودين في المنزل. فقمنا بإرسال عينة إلى مختبرات مختصة بتحليل الحمض النووي؛ وقادنا هذا الخيط إلى استخراج بيان قيد عائلي، لتتأكد شكوكنا. هناك

فرد خامس في هذه العائلة. لقد كان هذا الشخص مختفياً تماماً عن الأنظار طيلة فترة التحقيقات، فلم يلمّح أحد من الحاضرين إلى وجوده.

وثبتت هذه الشبهة بالدليل القاطع عندما حصلنا على اسمه من المحقق الجنائي، والذي كشف لنا عن وجود بلاغ اختفاء بحقه يعود إلى عام مضى. هنا، صغنا فرضيتنا الأولى رشيد هو الابن الغائب، وهو من قتل أمه.

-ولماذا لم تقبضوا عليه وأطلتم في فترة التحقيقات؟

-لأننا لا نعرف مكانه، ولو عرفنا لقبضنا عليه في الحال من خلال تلك المناورة. قمنا باستدراجه بكل سهولة.

سألته آي بنفاذ صبر:

-هل انتهينا؟

قال بريسكو:

-اصبري بعض الشيء. بمعرفتي لتلك المعلومات الحساسة منذ الساعات الأولى للجريمة، لم يكن أمامي إلا وضع خطة محكمة. اتفقت مع مدير تحرير جريدة القامشلي جليد، على استدراج الجاني عبر صفحات الجريدة الورقية الصفراء، بنشر تفاصيل القضية في حلقات متتالية تحت عمود كتابات الجريمة المحلية.

سألت المصورة آي بفضول:

-وماذا حدث بعد ذلك؟

أجابها بريسكو:

-اتفقت مع السيد نوري الواو الذي لم يكن يعلم عن مخططنا الحقيقي، لكنه أبدى استعداداً كاملاً للتعاون معنا من أجل القبض على الجاني بأي ثمن. فقمنا بتوجيه أصابع الاتهام إليه علناً أمام الرأي العام، بهدف استدراج القاتل إلى قفص الاتهام.

-أكان المحقق الجنائي مشتركاً في تلك اللعبة؟

-نعم.

ساد صمتٌ لبعض الوقت في جوف العربة الواقفة.

سألت آي غير مصدقة:

-وهل انطلت عليه الحيلة؟

رد المحقق الخاص:

-نعم، وخلال اثني عشر يوماً من النشر المتواصل في جريدة القامشلي جليد، وقع الجاني في الفخ.

عادت لتسأل:

-وما الذي دفع الابن لارتكاب هذه الجريمة البشعة بحق أمه؟

تنهد بريسكو وقال:

-إن سلوك السيد نوري السيئ والمنحل وبخله الشديد، قد جعلا ابنه يفر من البيت. لكن نقطة التحول حدثت في المشفى، عندما تعرض صديق له لحادث سير، واضطر رشيد للتبرع له بالدم. هناك، عرف زمرة دمه، وكانت الصدمة التي لم يتحملها.

استنتجت آي قائلة:

-اكتشف أن زمرة دمه نادرة جداً، ولا يمكن أن تكون نتاجاً لفصيلتي دم والديه.

-وماذا فعل بعد هذا الاكتشاف؟

-تملكه جنون الانتقام من أمه. عاد خلسة إلى المنزل مستخدماً نسخة مفاتيح قديمة احتفظ بها منذ هربه. راقب البيت حتى خلا من الجميع باستثناء الأم التي كانت جالسة على طاولة المطبخ بمفردها. اقتحم المكان حاملاً سكيناً، وعندما طعنها في صدرها، شلت المفاجأة حركتها فلم تقاوم حتى فارقت الحياة.

سألت مستفسرة عن الدافع العميق:

-ما السبب وراء كل هذا الغل؟

-السبب واضح وضوح الشمس. أدرك رشيد من اختلاف زمرة الدم أنه ابن غير شرعي، فقرر غسل عاره بدمائها. لم يكتف بقطع أنفاسها، بل قطع حلمتي ثدييها انتقاماً، ظناً منه أن جريمته

تندرج تحت مسمى جرائم الشرف. فر وظل يراقب أصداء جريمته يومياً عبر صفحات جريدة "القامشلي جليد".

-من أين حصلت على المعلومات عن رشيد؟

-من أبي حشيش نفسه.

هنا، تداخل صوت العجوز بلعون مقاطعاً بنبرة إعجاب:

-عظيم يا سيد بريسكو. أنت عظيم وستبقى عظيماً.

التفتت آي أخيراً وقالت:

-ألم يحن موعد أخذ الصورة بعد؟

ابتسم المحقق آدم بريسكو ومساعده العجوز عليش بلعون معاً قائلين:

-الآن، ومن حقك تماماً الاحتفال، خذي الصورة النهائية.

14

قبل ساعة واحدة من تنفيذ حكم الإعدام شنقاً، طلبتُ مقابلة التحري الخاص آدم بريسكو. وضعتُ بين يديه مخطوطة هذه الرواية، التي نسجتُ خيوطها استناداً إلى أرشيف جريدة "القامشلي جليد". نظرتُ إلى عينيه الحادتين وقلت:

يا سيد بريسكو؛ لقد استدرجتني بخدعة بالغة الدهاء، حيلة لا تخطر على بال الشيطان نفسه. نصبت لي الفخ بإحكام، تركتني أعتقد أنك أحكمتَ خيوط الجريمة حول أبي نوري الواو، فإذا بي أنا من وقعتُ في المصيدة. صدقني، لو كان شيرلوك هولمز أو هيركول بوارو حيين الليلة، لرفعا قبعتيهما تحية لذكائك النادر.

لم يقُل التحري الخاص غير كلمة: شكراً.

جنكو تمو

"جريمة كاملة أم هفوة قاتلة؟

عندما يصبح الدمُ دليلاً، والجريدةُ فخاً"!

في هدوء مدينة القامشلي، تقع جريمة مروعة تهز أركان منزلٍ مجاورٍ لمستنقع مائي. الضحية هي سيدة المنزل "رنا"، التي تُركت غارقة في دمائها داخل مطبخها بطريقة وحشية وسادية غامضة .

دائرة الاشتباه تضيق لتشمل من كانوا في فلكها: زوجٌ غارقٌ في نزواته، وابنةٌ مستهترة تستنزف ثروتها، وسائقٌ تحوم حوله الشكوك، وخادمةٌ فاتنة تتلون كالحرباء .الجميع يملك الدافع، والجميع يدّعي البراءة .

لكن الجاني الذي ظن أنه خطط لـ "**الجريمة الكاملة**"، لم يحسب حساباً للمحقق الذكي "**آدم بريسكو**"؛ بينما تعجز الشرطة عن إيجاد أداة الجريمة، يلتقط "بريسكو" دليلاً بيولوجياً لا يخطر على بال أحد :**بعوضةٌ صغيرة امتصت قطرة دمٍ من مسرح الجريمة !**

في لعبة ذكاءٍ نفسية وشدٍ وجذب، يقرر "**بريسكو**" نصب شباكه عبر نشر تفاصيل التحقيقات حلقةً تلو أخرى في صفحات جريدة *"القامشلي جليد"* .

- **فهل ينجح المحقق الفذ في "استدراج الجاني" من عزلته؟**
- **وهل يمكن لقطرة دمٍ ابتلعتها حشرة أن تفضح سرّاً دُفن في عروق العائلة لسنوات؟**

رواية بوليسية تحبس الأنفاس للكاتب **جنكو صالح تمو**، تأخذك في رحلة سيكولوجية عميقة داخل العقل الإجرامي، حيث لا أحد يبدو بريئاً... وحيث النهاية ستصدمك حتماً !